الخطاب السردي

في أخبار "اعتلال القلوب"

بقلم الدكتورة

مروة مغربى عجيل

مدرس الأدب والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الرابع (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب السردي في أخبار "اعتلال القلوب"

مروة مغربى عجيل

قسم الأدب والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : mama.maghraby2006@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مكونات السرد وسماته الفنية في واحدة من المدونات التراثية كتاب "اعتلال القلوب"للخرائطي

وكان عنوان الدراسة: « الخطاب السردي في أخبار "اعتلال القلوب".

وقد تناولت بالدراسة بعض أخبار الكتاب موضحة أهم أطراف العملية السردية من شخصيات رئيسة أو ثانوية وأحداث متتابعة أو متداخلة وأماكن مفتوحة أو مغلقة متلمسة أهم السمات الفنية التي تعد الواقعية من أبرزها.

هذا، ومن أهم نتائج البحث تنوع الخطاب السردي في أخبار"اعتلال القلوب"بين الذاتية والموضوعية وتنوع أنماط الرواة بين الراوي العليم والمشارك والمشاهد وإجادة السارد توظيف تقنيات السرد من استرجاع واستباق وخلاصة إلى غير ذلك.

ومن ثم نستطيع القول بجدوى إخضاع الأخبار المبثوثة في كتب التراث للدراسة السردية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السردي ، أخبار ، اعتلال القلوب .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Narrative Discourse in 'Ill Hearted' News

Marwa Maghraby ogiel
Department of Literature and Criticism, at the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag, Egypt .
Email: mama.maghraby2006@gmail.com

Abstract

This research aims to study the components of the narration and its artistic features in one of the heritage blogs, the book " aietilal alqulub " by Al-Karati.

The title of the study was: "Narrative Discourse in the News of "aietilal alqulub "

The study dealt with some of the book's news, explaining the most important parties to the narrative process, from main or secondary characters, successive or overlapping events, and open or closed places, palpating the most important artistic features, which is realism among the most prominent.

This, and among the most important results of the research, is the diversity of the narrative discourse in the news of "illness of hearts" between subjectivity and objectivity, the diversity of narrators' patterns between the knowledgeable narrator, the participant and the viewer, and the narrator's proficiency in employing narration techniques such as retrieval, anticipation, summary, and so on.

Hence, we can say the feasibility of subjecting the news transmitted in heritage books to a narrative study.

Keywords: Narrative discourse, news, heartache .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد ...

تعد الدراسة السردية من الموضوعات التي لاقت اهتمام كثير من الدارسين وكانت محطّ أنظارهم وموضع عنايتهم ، وقد استطاعت أنْ تسجل لهاحضوراً فاعلاً في الأوساط الأدبية فُكتبت فيها العديد من الكتب والرسائل الجامعية متناولةً السرد في قطبي الأدب (شعره ونثره) .

وقد دأبت بعض الدراسات الحديثة منها (الدراسة السردية) على دراسة التراث العربي القديم ومحاولة قراءتهِ قراءةً جديدة على وفق الط النقدية الحديثة، وهذه الدراسة محاولةٌ لإستجلاء بنية السرد القصصي في واحدة من المدونات العربية المتمثلة في كتاب "اعتلال القلوب"للخرائطي.

والبحث مقسم إلى أربعة مباحث سبقهم مقدمة وتمهيد وتبعتهم خاتمة وفهارس

في المقدمة تحدثت عن خضوع بعض كتب التراث للدراسات السردي واقتفائي آثارها معتمدة على المنهج الاستقرائي.

فتحدثت في التمهيد بإيجاز عن "الخرائطي"وكتابه

وتحدثت في المبحث الأول عن الخطاب السردي وصلاحية أخبار "اعتلال القلوب"للدراسة السردية.

أما في المبحث الثاني فتحدثت عن مكونات السرد في أخبار الكتاب (السارد والمسرود له والمسرود).

وفي المبحث الثالث كان حديثي عن الفضاء السردي بشقيه الزمان والمكان.

وفي المبحث الأخير رصدت بعض سمات السرد الفنية في أخبار الكتاب كاعتماد النظام الإسنادي والواقعية والتناص وغيرها.

تمهيد

مؤلف كتاب"اعتلال القلوب"هو "الخرائطي" محمد بن جعفر بن محمد بن سهْل بن شاكر أبو بكر السامرّيّ،ولد ب"سرمنرأى"وسمع: عَمْر بن شَبَّة، والحسن بن عَرَفَة، وسعدان بن نَصْر، وسعدان بن يزيد، وحُمَيْد بن الربيع، وعليّ بن حرب، والرمادي، وأحمد بن بُدَيْل، وشعيب ابن أيوب، وطبقتهم(١) .

وله من التصانيف: كتاب مكارم الأخلاق. كتاب مساوي الأخلاق. كتاب قمع الحرص بالقناعة. كتاب هواتف الجانّ وعجيب ما يحكى عن الكهان . كتاب القبور.

[توفي بفلسطين، في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وقد قارب التسعين(٢).

قال عنه "الخطيب البغدادي"

---

(١) "عمر بن شبة، أبو زيد النميري البصري، الحافظ العلامة الأخباري، صاحب التصانيف، حدث عن عبد الوهاب الثقفي وغندر وطبقتهما وكان ثقة توفي سنة ثنتين وستين ومئتين.ينظر:العبر ٣٧٦/١.

أحمد بن منصور، أبو بكر الرمادي الحافظ، ببغداد. وكان أحد من رحل إلى عبد الرزاق. وثقه أبو حاتم وغيره توفي سنة خمس وستين ومئتين.ينظر:العبر ٣٨٠/١.

شعيب بن أيوب، أبو بكر الصريفني، مقرىء واسط وعالمها، توفي سنة احدى وستين ومئتين وكان ثقة.ينظر:العبر ٣٧٥/١

(٢) ينظر: العبر في خبر من غبر : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ ه، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دون إشارة إلى تاريخ الطبع .٢٨/2

كان "حسن الأخبار، مليح التصانيف، سكن الشام وحدث بها، فحصل حديثه عند أهلها"(١).

وقال عنه"ابن تغري بردي"

كان "عالما ثقة جيّد التصانيف متفنّنا. رضى الله عنه"(٢).

أما كتاب"اعتلال القلوب"فهو يعد واحدا من كتب الأخبار التي ضمنها مؤلفه "الخرائطي"ستة وأربعين وثمانمائة خبرا توزعت بين الحديث النبوي والإنشاد الشعري والقصة.

وقد وجدت في تلك الأخبار مادة ثرية يمكن أن تخضع للدرس السردي لتوافر مكوناته ومن ثم كان هذا البحث.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ برقم ٥٥١ ١٣٨/٢.

(٢) ينظر: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر)دون إشارة إلى تاريخ الطبع. ٢٦٥/٣)

المبحث الأول

الخطاب السردي وصلاحية الأخبار للدرس السردي

مصطلح الخطاب من المصطلحات التي ولجت في الدّراسات النقدية الحديثة، وأصبحت أكثر تداولاً لدى النقاد المعاصرين العرب، نتيجة احتكاكهم بالتيارات النقدية العالمية، ورغبة منهم في تجاوز المفاهيم التقليدية، والسعي إلى آفاق المعرفة العلمية ونعني به هنا النص.

أما مفهوم السّرد فيندرج ضمن المفاهيم المستحدثة في الساحة النقدية العربية، استعمله النقاد ليكون المفهوم الجامع لكلّ التجليات المتصلة بالعمل الروائي أو الحكائي، وتأتي أهميته باعتباره مصطلحاً وجنساً يستدعي أن تكون له أنواع كالرواية والقصة والقصة القصيرة وغيرها. فهو يشمل "كل نقل للأخبار والأقوال والأفعال" (١).

والخبر: "فنٌّ قصصي قصير يغلب عليه قولُ الحقيقة ويشير إلى سردٍ من التاريخ ..وهويشير الى أكثر نزوعات التجديد القصصي، كما تُعرف اليوم في الأقاصيص الإنطباعية" (٢).التي تعرف بكونها "القصة الأقصر من القصيرة، وأغلب ما تدور حول مشهد صغير أو فكرة جزئية أو مجرد الفكاهة أو اللمسة النفسية"(٣).

١ــ السرد العربي القديم(الأنواع والوظائف والبنيات) : إبراهيم صحراوي ، ص 37،منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

٢ــ ((مصطلحات تراثية للقصة العربية)) : عبد الله أبو هيف ، بحث نشرته مجلة التراث العربي، العدد ٤٨ ، ١٩٩٢ ,ص١١٢ .

٣ــ الأدب وفنونه دراسة ونقد: د / عز الدين إسماعيل ، المتوفى ١٤٢٨ ه، ص ١١٦،دار الفكر العربي دون إشارة إلى تاريخ الطبع.

وإذا كان السرد "خاصية للكتابة التاريخية. فالحبكة الفنية هي الشـــيء الذي يضاف إلى السرد ليجعل من الأشياء المسرودة بناء متماسك الأجزاء، يؤدي هدفًا واحدًا"(١).

والحبكة الفنية تعني:أن تكون حوادث القصة وشخصـــياتها مرتبطـــة ارتباطًا منطقيًّا يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالـــة محـــددة. فســـرد أي مجموعة من الحوادث مرتبطة بما يلزم من الشخصيات، لا يكفي حتى تعد ما يسرد قصة فنية(٢)؛

مما سبق نخلص إلى أن الأخبار هي واحدة من مظان السرد العربـــي القديم الذي يمكن أن يخضع للدراسة السردية، ومن ثم فأخبار كتاب "أعتلال القلوب"تصلح للدرس السردي لذا سيكون بحثي دراسةً سرديةً لها.

١ــ الأدب وفنونه دراسة ونقد: د / عز الدين إسماعيل ، ص ١٠٤.

٢ــ السابق ص ١٠٤.

أسلوب تقديم السرد :

يقوم السارد حين يقدم سرده بتقديمه إمّا بشكل موضوعي أو بشكل ذاتي(١) وقد تنوعت أخبار كتاب "اعتلال القلوب"بين هذين الشكلين من السرد.

أ- السرد الموضوعي :

في هذا اللون من السرد يكون السارد "عارفاً بكلّ شيء يخص شخصياته حتى أفكارها السردية فيقوم بعرضها للقارئ بعلمية تامة"(٢)، ويعتمد أسلوب السرد الموضوعي على الرؤية الخارجية والراوي العليم(٣).

وتمتاز الرؤية الخارجية بأنّ الراوي فيها يكون "عالماً بكل الأحداث ملماً بنفسية الشخصيات ، خبيراً بما يجري في ضمائرهم فكأنّ الراوي إلاه عليم بكل شيء،بل إنّه يعلم عن شخوص الرواية أكثر مما تعلم هي عن نفسها" (٤).

ومن امثلة السرد الموضوعي في أخبار "اعتلال القلوب"خبر استخلاف"عثمان بن عفان""عبد الرحمن بن عوف"في مرضه وإفضائه بذلك إلى مولاه"حمدان"كاتب وصيته الذي أفشى سره.

١- ينظر : مفاهيم سردية : تزفيطان تودورف ، ترجمة :عبد الرحمن مزبان, ص١٣٠،منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م.

٢- ينظر : نظرية المنهج الشكلي : (نصوص الشكلانيين الروس) : ترجمة: إبراهيم الخطيب،ص ١٨٩ ، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م.

٣- ينظر : المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) : عبد الله إبراهيم ، ص١٢٠،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .

٤- "المنظور الروائي بين النظرية والتطبيق" : إبراهيم جنداري ، بحث نشرته مجلة الموقف الثقافي ، العدد ٤٤ ، السنة الثامنة ، ٢٠٠٣م ص ٨٤ .

يقول"الخرائطي" (١):

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَرَّانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رِشْدِينَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَكَى شَكَاةً خَافَ فِيهَا ، فَأَوْصَى وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْحَجِّ ، وَكَانَ الَّذِي وَلِيَ كِتَابَ وَصِيَّتِهِ حَمْدَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يُخْبِرَ بِذَاكَ أَحَدًا ، فَعُوفِيَ عُثْمَانُ مِنْ مَرَضِهِ ، وَقَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَلَقِيَهُ حَمْدَانُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِ عُثْمَانَ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، وَأَسَرَّ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مِنَ اسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِحَمْدَانَ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ مَا لِي بُدٌّ مِنْ أَنْ أُخْبِرَهُ ، فَقَالَ حَمْدَانُ: إِذًا وَاللَّهِ تُهْلِكُنِي ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَسَعُنِي تَرْكُ ذَلِكَ ، لَئِلَّا يَأْمَنَكَ عَلَى مِثْلِهَا ، وَلَكِنْ وَأَفْعَلُ حَتَّى أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِعُثْمَانَ: إِنَّ لِبَعْضِ أَهْلِكَ ذَنْبًا لَيْسَ عَلَيْكَ إِثْمٌ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ فِيهِ ، وَلَسْتُ مُخْبِرَكَ حَتَّى تُؤَمِّنَهُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ: فَقَدْ فَعَلْتُ ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي أَسَرَّ إِلَى حَمْدَانَ ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ جَلَدْتُكَ مِائَةً ، وَإِنْ شِئْتَ فَاخْرُجْ عَنِّي ، فَاخْتَارَ الْخُرُوجَ ، فَخَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ»

تتسع رؤية السارد الموضوعي"الليث بن سعد"(٢)وعلمه التام بكلّ مجريات الأحداث التي دارت بين شخصيات الخبر وكأنه إلاه عليم بأحداث

١- "اعتلال القلوب :أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق/حمدي الدمرداش نزار مصطفى الباز، برقم٧٠٣ ٣٤٢/٢,مكة المكرمة-الرياض الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢- "شيخ الديار المصرية وعالمها أبو الحارث الليث بن سعد الفهمي، مولاهم، الفقيه. وأصله فارسي إصبهاني. روى عن عطاء بن أبي رياح، وابن أبي مليكة، ونافع، وخلق كثير. توفي يوم الجمعة يوم نصف شعبان سنة خمس وسبعين ومئة عن إحدى وثمانين سنة. وكان إماماً ثقة حجةً رفيعاً واسع العلم سخياً جواداً محتشماً. كان نائب مصر وقاضيها من تحت أوامر الليث. وإذا رابه من أحدهم شيء كاتب فيه فيعزل. وقد أراده المنصور أن يلي إمرة مصر فامتنع.ينظر:العبر في خبر من غبر ٢٠٦/١.

القصة (سر "عثمان "لمولاه "حمدان "وإفشائه السر ل"عبد الرحمن بن عوف"واختياره الرحيل عنه بعد علمه بفعلته.

ب – السرد الذاتي :

هنا يتمُّ تقديم السرد بخلاف الشكل الأول (الموضوعي) ، إذ يقوم القارئ "بمتابعة السرد والتعرف على مرويه من خلال عَيني الراوي أو طرف مستمع"(١)، كما يسمح للشخصيات أن تتولى مهمة رواية الحدث.

ويعتمد هذا الأسلوب السردي على الرؤية الداخلية والراوي المشارك(٢)، وتمتاز الرؤية الداخلية بأنّ السارد فيها "يعرف أقل مما تعرفه أية شخصية، وهو يكتفي فقط بأنْ يصف لنا ما يرى ويسمع ، أي أنّه لا يستطيع أنْ يلج إلى قرارة نفس شخصياته" (٣).

ومن السرد الذاتي في "اعتلال القلوب"ما رواه "الخرائطي"عن "أبي محمد اليزيدي"(٤)الذي دخل على "الرشيد"وهو مستغرق في قراءة رقعة مكتوبة بالذهب .

يقول"الخرائطي"(٥):

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْطَاكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدْرٍ الْبَصْرِيُّ قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ

١- ينظر : نظرية المنهج الشكلي ص: ١٨٩ .

٢- ينظر : المتخيل السردي ص ١٢٠ .

٣- المنظور الروائي بين النظرية والتطبيق ص ٨٥ .

٤- "يحيى بن المبارك اليزيدي المقرىء النحوي اللغوي، صاحب التصانيف الأدبية. وتلميذ أبي عمرو بن العلاء، توفي سنة اثنتين ومئتين وله أربع وسبعون سنة، وهو بصري نزل بغداد.:العبر ٢٦٤/١.

٥- "اعتلال القلوب برقم٧٣ ٤٣/١.

الْيَزِيدِيُّ: " دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، فَوَجَدْتُهُ مُكِبًّا يَنْظُرُ فِي وَرَقَةٍ فِيهَا مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ، فَلَمَّا رَآنِي تَبَسَّمَ، فَقُلْتُ: فَائِدَةٌ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: نَعَمْ، وَجَدْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي بَعْضِ خَزَائِنِ بَنِي أُمَيَّةَ اسْتَحْسَنْتُهُمَا، وَقَدْ أَضَفْتُ إِلَيْهِمَا ثَالِثًا، فَأَنْشَدَنِي: [البحر الطويل]

إِذَا سُدَّ بَابٌ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ ... فَدَعْهُ لِأُخْرَى يَنْفَتِحْ لَكَ بَابُهَا
فَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلْؤُهُ ... وَيَكْفِيكَ سَوْءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
فَلَا تَكُ مِبْذَالًا لِعِرْضِكَ وَاجْتَنِبْ ... رُكُوبَ الْمَعَاصِي يَجْتَنِبْكَ عِقَابُهَا

ف"أبو محمد اليزيدي"قد تولى سرد الخبر سردا ذاتيا حيث شارك في الخبر بدور محدد وهو الدخول على "الرشيد "أثناء قراءته للبيتين اللذين وجدهما في خزائن بني أمية(١) ولم يكن على علم بهما ولا بالثالث الذي أضافه"الرشيد"إليهما.

وقد قدم كتاب "اعتلال القلوب" لنا سارداً عبر سُلم ترتيبي يتوزع بين سارد من الدرجة الأولى وهو القريب من المحكي قولاً وعملاً وبين سارد متأخر الرتبة بحكم ابتعاده عن هذا المحكي قولاً وعملاً،وقد تمثل السارد المتأخر الرتبة في "الخرائطي"الذي قام الساردون متقدمو الرتبة بإيصال المادة المحكية اليه ، معتمداً في ذلك النظام الإسنادي .

١- "البيتان لهلال بن خثعم .ينظر: الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ),١/٢٥٥، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

المبحث الثاني

مكونات السرد

تبحث السردية في مكونات الخطاب السردي من سارد ومسرود له ومسرود

أولاً : السارد

يعرف السارد أو الراوي على أنّه "الشخص الذي يصنع القصة" (١) وهو "أسلوب صياغة أو بنية من بنيات القص شأنه شأن الشخصية والزمان والمكان وهو أسلوب تقديم المادة القصصية" (٢)، ويمثل الراوي صوتاً خفياً لا يمكنه التجسّد إلا من خلال ملفوظه إلى جانب كونه الواسطة بين مادة القصة ومتلقيها(٣).

وينبغي التفريق بين الكاتب الحقيقي المؤلَف من لحم ودم ، وبين الراوي الكائن الورقي انطلاقاً من أنّ الراوي "وسيلة أو أداة فنية يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصّه أو ليبثّ القصة التي يروي إذ يختبئ الكاتب خلف الراوي"(٤).

وهو على درجة كبيرة من الأهمية لكونه القائم بعملية سرد الأحداث وتقديم الشخصيات ورسم الإطار الزماني والمكاني الذي تجري فيه هذه

١- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : : سعيد علّوش ، ص ١١١دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م.

٢- بناء الرواية ، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) : سيزا قاسم ، ص١٣٠،الهيأة المصرية العامة للكتاّب ، ١٩٨٤م.

٣- ينظر : المتخيل السردي ص ٦١ .

٤- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ، ص 89،دار الفارابي ، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩.

الأحداث ، مسبوكة على وفق رؤيته الخاصة ، إلى جانب ذلك فإنّ "تقل الوقائع وتقديمها في قالب لغوي ــ شفاهي أو كتابي ــ يستوجب حضور هيئة تلفظ ، هي شخصية السارد ، التي تقوم بالتعبير عن هذه الأفعال والأحداث ، العاجزة عن التعبير عن نفسها بنفسها" (١) وذلك على اختلاف نوعيه.

الأول : الراوي الغريب عن الحكاية .

الثاني : الراوي المتضمن في الحكاية .

١ـ الراوي الغريب عن الحكاية :

ويراد به الراوي المُفارق لمرويه ، ويكون صاحب شخصية مستقلة عما يَحكي ساردا ً أحداث ما يروي بضمير الغائب(٢)،وبذلك يمكن للراوي الاختفاء وراء النص ليقوم بمهمة السرد من دون المشاركة في الحدث .

وقد مثلت الكتابة بضمير الغائب أكثر الأشكال السردية تجذراً في فن السرد(٣)،ومن نماذج الراوي الغريب عن حكاية في "اعتلال القلوبالخبر الذي رواه"ابن المثنى"(٤)"بوصفه راويا عليما عن قصة زواج

١- البنية السردية في شعر الصعاليك : ضياء غني لفته ، ص١٥٨،عمان ، دار الحامد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م.

٢ــ السابق ص١٥٨.

٣- ينظر : " استعمال الضمائر في الرواية " : ميشال بيتور ، مجلة الثقافة الأجنبية العدد ١، السنة التاسعة ، ١٩٨٩م ص ٥٥ .

٤- "أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي العلامة الأخباري، صاحب التصانيف. روى عن هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء. وكان أحد أوعية العلم. توفي سنة عشرة.ينظر:العبر ٢٨٢/١.

" خالد بن يزيد بن معاوية"(١) ب"رملة بنت الزبير"(٢).

يقول "الخرائطي" (٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى قَالَ: حَجَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَحَجَّ مَعَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مِنْ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ الْمَعْدُودِينَ وَعُلَمَائِهِمْ، وَكَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ بَصُرَ بِرَمْلَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَعَشِقَهَا عِشْقًا شَدِيدًا، وَوَقَعَتْ بِقَلْبِهِ وُقُوعًا مُتَمَكِّنًا، فَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْقُفُولَ هَمَّ خَالِدٌ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ، فَوَقَعَ بِقَلْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ تُهْمَةٌ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَمْلَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ رَأَيْتُهَا تَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَدْ أَذْهَلَتْ عَقْلِي، وَاللَّهِ مَا أَبْدَيْتُ إِلَيْكَ مَا بِي حَتَّى عِيلَ صَبْرِي، وَلَقَدْ عَرَضْتُ النَّوْمَ عَلَى عَيْنِي فَلَمْ تَقْبَلْهُ، وَالسَّلْوَى عَلَى قَلْبِي فَامْتَنَعَ، فَأَطَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ التَّعَجُّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَقُولُ إِنَّ الْهَوَى يَسْتَأْسِرُ مِثْلَكَ، فَقَالَ: وَإِنِّي لَأَشُدُّ تَعَجُّبًا مِنْ تَعَجُّبِكَ مِنِّي، وَلَقَدْ كُنْتُ أَقُولُ: إِنَّ الْهَوَى لَا يَتَمَكَّنُ إِلَّا مِنْ صِنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ: الشُّعَرَاءِ وَالْأَعْرَابِ، فَأَمَّا الشُّعَرَاءُ فَإِنَّهُمْ أَلْزَمُوا قُلُوبَهُمُ الْفِكْرَ فِي

١- "خالد بن يزيد بن معاوية الأموي الدمشقي كان موصوفاً بالعلم والدين والعقل توفي سنة تسعين . ينظر: العبر ٧٨/١..

٢- "رملة بنت الزبير بن العوامأخت مصعب بن الزبير بن العوام لأمه، وكانت أمها أم الرباب بنت أليف بن عبيد بن مصار الكلبي تزوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد فولدت له عبد الله بن عثمان، وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي عليها السلام، ثم تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. ينظر:الدر المنثور في طبقات ربات الخدور:زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)ص ٢٠٧ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة الأولى، ١٣١٢ هـ.

٣- "اعتلال القلوب برقم ٢٩٧ ١٤٨/١.

النِّسَاءِ وَالْغَزَلِ، فَمَالَ طَمَعُهُمْ إِلَى النِّسَاءِ، فَضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ دَفْعِ الْهَوَى، فَاسْتَسْلَمُوا إِلَيْهِ مُنْقَادِينَ، وَأَمَّا الْأَعْرَابُ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَخْلُو بِامْرَأَتِهِ فَلَا يَكُونُ الْغَالِبُ عَلَيْهِ غَيْرَ حُبِّهِ لَهَا، وَلَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْهُ، فَضَعُفُوا عَنْ دَفْعِ الْهَوَى فَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ، وَجُمْلَةُ أَمْرِي فَمَا رَأَيْتُ نَظْرَةً حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَزْمِ وَحَسَّنَتْ عِنْدِي رُكُوبَ الْإِثْمِ مِثْلَ نَظْرَتِي هَذِهِ، فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ أَوَكُلُّ هَذَا قَدْ بَلَغَ بِكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَرَفَتْنِي هَذِهِ الْبَلِيَّةُ قَبْلَ وَقْتِي هَذَا، فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى آلِ الزُّبَيْرِ يَخْطُبُ رَمْلَةَ عَلَى خَالِدٍ، فَذَكَرُوا لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، أَوْ يُطَلِّقُ نِسَاءَهُ، فَطَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ، إِحْدَاهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأُخْرَى مِنَ الْأَزْدِ، فَظَعَنَ بِهَا إِلَى الشَّامِ ف"ابن المثنى"بوصفه راويا عليما غريبا عن الحكاية قد اختبأ خلف ضمير الغائب ليروي لنا خبر الزواج وهو غير مشارك في أحداث تلك القصة بأي دور عدا السرد.

٢ـ الراوي المتضمن في الحكاية :

في هذا الضرب من العلاقة بين الراوي ومرويه يكون الراوي متماهياً في مرويه، حاضراً في السرد كإحدى الشخصيات المشاركة فيه ، عامداً إلى سرد ما يجري بضمير المتكلم(١)الذي يتيح له عرض الخبر من وجهة نظره.

ويتجلى حضور الراوي وتماهيه فيما يحكي على وفق وضعين :

الأول : حضور أساس يكون فيه الراوي بطل سرده .

الثاني: حضور ثانوي يمثل فيه الراوي دور المشاهد للحدث أو الملاحظ له(٢).

١- ينظر : مدخل الى نظرية القصة تحليلاً و تطبيقاً : سمير جميل،وشاكر المرزوقي،ص 102 مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية- بغداد،١٩٨٦.

٢- ينظر : السابق ص١٠٢ .

* الحضور الأساس للسارد *

الراوي بطل سرده :

هو راو ألـ "أنا" يقوم عادة برواية قصته(١)، وبذلك يجمع بين الرواية والبطولة لذا فهو يلجأ إلى اقامة مسافة بين ما كان عليه الراوي وما غداه البطل، هذه المسافة بدورها تسمح بإعادة النظر والنقد وإقامة الاختلاف بين من يروي ومن يُروى عنه(٢).

ومن نماذج الراوي البطل في "اعتلال القلوب"خبر "نمير بن فجاف الهلالي"الذي اختبأ في بيت "جيد"لتتمكن من لقاءصديقه "بشر".

يقول"الخرائطي" (٣):

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نُمَيْرُ بْنُ فِجَافٍ الْهِلَالِيُّ قَالَ: كَانَ فِينَا فَتًى يُقَالُ لَهُ: بِشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالْأَسِيرِ، وَكَانَ سَيِّدَ فِتْيَانِ بَنِي هِلَالٍ ، وَأَحْسَنَهُمْ وَجْهًا ، وَأَسْخَاهُمْ نَفْسًا ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِجَارِيَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ تُدْعَى جِيدًا ، وَكَانَتْ بَارِعَةَ الْجَمَالِ ، فَلَمَّا عَلَا أَمْرُهُ وَأَمْرُهَا ، وَظَهَرَ خَبَرُهُ وَخَبَرُهَا ، وَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَهْلِهَا حَتَّى وَقَعَتْ فِيهِمُ الدِّمَاءُ قَالَ نُمَيْرٌ: فَلَمَّا طَالَ عَلَى الْأَسِيرِ الْبَلَاءُ جَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا نُمَيْرُ ، هَلْ عِنْدَكَ خَبَرٌ؟ قُلْتُ: عِنْدِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: تُسَاعِدُنِي عَلَى زِيَارَةِ جِيدٍ ، فَقَدْ أَذَابَ الشَّوْقُ رُوحِي ، وَنَغَّصَ عَلَيَّ حَيَاتِي. قُلْتُ: نَعَمْ ، بِالْحُبِّ وَالْكَرَامَةِ ، فَانْهَضْ إِذَا شِئْتَ. فَرَكِبَ وَرَكِبْتُ مَعَهُ ، فَسِرْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا وَالْغَدَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعِشَاءُ أَنَخْنَا رِحَالَنَا فِي

١- ينظر : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ص٩٤.

٢- ينظر : السابق ص ٨٤ .

٣- "اعتلال القلوب برقم ٨٤٤ ٤٠٤/٢.

شِعْبٍ خَفِيٍّ وَقَعَدْنَا عِنْدَهُمَا ، وَقَالَ: يَا نُمَيْرُ: اذْهَبْ فَتَأَنَّسْ بِالنَّاسِ ، وَاذْكُرْ إِنْ لَقِيتَ أَحَدًا أَنَّكَ طَالِبُ ضَالَّةٍ ، وَلَا تُعَرِّضْ بِذِكْرِي بَيْنَ شَفَةٍ وَلِسَانٍ إِلَّا أَنْ تَلْقَى فُلَانَةَ جَارِيَتَهَا رَاعِيَةَ ضَأْنِهِمْ ، فَأَقْرِئْهَا مِنِّي السَّلَامَ وَسَلْهَا عَنِ الْخَبَرِ ، وَأَعْلِمْهَا مَوْضِعِي. قَالَ: فَخَرَجْتُ لَا أَعْدُو مَا أَمَرَنِي بِهِ حَتَّى لَقِيتُ الْجَارِيَةَ ، فَأَبْلَغْتُهَا الرِّسَالَةَ ، وَأَعْلَمْتُهَا مَكَانَهُ ، وَسَأَلْتُهَا عَنِ الْخَبَرِ ، قَالَتْ: هِيَ وَاللَّهِ مُشَدَّدٌ عَلَيْهَا ، مُتَحَفَّظٌ بِهَا عَلَى ذَلِكَ ، فَمَوْعِدُكُمْ أُولَئِكَ الشَّجَرَاتُ اللَّوَاتِي عِنْدَ أَقْعَابِ الْبُيُوتِ مَعَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ. قَالَ: فَانْصَرَفْتُ إِلَى صَاحِبِي فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، ثُمَّ نَهَضْتُ أَنَا وَهُوَ نَقُودُ رَوَاحِلَنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَوْعِدَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَعَدَتْنَا ، فَلَمْ نَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى إِذَا جِيدٌ تَمْشِي ، فَدَنَتْ مِنَّا ، وَوَثَبَ الْأَسِيرُ فَصَافَحَهَا وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، وَوَثَبْتُ مُوَلِّيًا عَنْهُمَا ، فَقَالَا: نُقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا رَجَعْتَ ، فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ فِي مَكْرُوهٍ ، وَلَا بَيْنَنَا قَبِيحٌ نَخْلُو بِهِ دُونَكَ ، فَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَيْهِمَا حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا الْأَسِيرُ: مَا فِيكِ حِيلَةٌ يَا جِيدُ نَتَعَلَّلُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ الَّذِي تَعْلَمُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ. فَقَالَ لَهَا: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ وَقَعَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ قَالَتْ: فَهَلْ فِي صَاحِبِكَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ؟ قُلْتُ: قُولِي مَا بَدَا لَكِ؛ فَإِنِّي أَنْتَهِي إِلَى رَأْيِكِ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ ذَهَابُ نَفْسِي. فَخَلَعَتْ ثِيَابَهَا فَلَبِسْتُهَا ، وَخَلَعْتُ ثِيَابِي فَلَبِسَتْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ: اذْهَبْ إِلَى بَيْتِي ، فَادْخُلْ فِي سِتْرِي ، فَإِنَّ زَوْجِي سَيَأْتِيكَ فَيَطْلُبُ مِنْكَ الْقَدَحَ يَحْلُبُ فِيهِ ، ثُمَّ يَأْتِيكَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْحَلْبِ بِالْقَدَحِ مَلْآنَ لَبَنًا فَيَقُولُ: هَاكِ غَبُوقَكِ ، فَلَا تَأْخُذْهُ مِنْهُ حَتَّى تُطِيلَ نُكْرَكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خُذْهُ أَوْ دَعْهُ حَتَّى يَضَعَهُ ، ثُمَّ لَسْتَ تَرَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَذَهَبْتُ وَفَعَلْتُ مَا أَمَرَتْنِي بِهِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بِالْقَدَحِ لِآخُذَهُ ، فَلَمْ آخُذْهُ حَتَّى طَالَ نُكْرِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِآخُذَهُ وَهَوَى لِيَضَعَهُ فَاخْتَلَفَتْ يَدِي وَيَدُهُ ، فَانْكَفَأَ الْقَدَحُ وَانْدَفَقَ مَا

فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّمَّاحَ جَدَا. وَضَرَبَ بِيَدِهِ مُقَدَّمَ الْبَيْتِ فَاسْتَخْرَجَ سَوْطًا مَلْوِيًّا مِثْلَ الثُّعْبَانِ ، ثُمَّ دَخَلَ فَهَتَكَ السِّتْرَ وَقَبَضَ عَلَيَّ ، وَأَمْتَعَ السَّوْطَ مِنِّي ، فَضَرَبَنِي تَمَامَ عِشْرِينَ أَنْ زَادَتْ قَلِيلًا أَوْ نَقَصْتُ قَلِيلًا ، ثُمَّ جَاءَتْ أُمُّهُ وَأُخْتُهُ فَانْتَزَعَانِي مِنْ يَدِهِ ، وَلَا وَاللَّهِ فَعَلَ بِي ذَلِكَ حَتَّى زَايَلَنِي عَقْلِي وَهَمَمْتُ أَنْ أَجِيئَهُ بِالسِّكِّينِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا الْمَوْتُ ، فَلَمَّا خَرَجُوا سَدَدْتُ سِتْرِي وَقَعَدْتُ كَمَا كُنْتُ ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُمُّ جِيدٍ دَخَلَتْ عَلَيَّ فَكَلَّمَتْنِي وَهِيَ تَحْسَبُنِي ابْنَتَهَا ، وَانْبَعَثْتُ فِي الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ ، وَتَغَطَّيْتُ بِثَوْبِي وَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةِ ، اتَّقِي اللَّهَ فِي نَفْسِكِ ، وَلَا تَعَرَّضِي لِمَكْرُوهِ زَوْجِكِ ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِكِ ، فَأَمَّا الْأَسِيرُ فَلَكِ آخِرَ الدَّهْرِ ، وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِي وَقَالَتْ: سَأُرْسِلُ إِلَيْكِ بِأُخْتِكِ تُؤْنِسُكِ اللَّيْلَةَ. فَلَبِثْتُ غَيْرَ مَا كَثِيرٍ فَإِذَا الْجَارِيَةُ قَدْ جَاءَتْ وَجَعَلَتْ تَبْكِي وَتَدْعُو عَلَى مَنْ ضَرَبَنِي ، وَجَعَلْتُ لَا أُكَلِّمُهَا ، ثُمَّ اضْجَعَتْ إِلَى جَنْبِي ، فَلَمَّا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهَا شَدَدْتُ يَدِي عَلَى فَمِهَا وَقُلْتُ: يَا هَذِهِ ، تِلْكَ أُخْتُكِ مِنَ الْأَسِيرِ ، وَقَدْ قُطِعَ ظَهْرِي بِسَبَبِهَا اللَّيْلَةَ ، وَأَنْتِ أَوْلَى بِالسِّتْرِ عَلَيْهَا ، فَاخْتَارِي لِنَفْسِكِ وَلَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ تَكَلَّمْتِ بِكَلِمَةٍ لَأُصْبِحَنَّ أَنَا بِجُهْدِي حَتَّى تَكُونَ الْفَضِيحَةُ شَامِلَةً. ثُمَّ رَفَعْتُ عَنْ فِيهَا فَاهْتَزَّتْ كَمَا تَهْتَزُّ الْقَصَبَةُ مِنَ الْفَرَقِ ، فَلَمْ أَزَلْ بِهَا حَتَّى آنَسَتْ ، فَبَاتَتْ وَاللَّهِ مَعِي أَصْلَحَ رَفِيقٍ رَفَقْتُهُ قَطُّ ، فَلَمْ تَزَلْ تَتَحَدَّثُ وَتَضْحَكُ مِنِّي ، وَمَاءَلَنِي وَتَمَكَّنْتُ مِنْهَا تَمَكُّنَ مَنْ لَوْ رَامَ مِنْهَا رِيبَةً قَدَرَ عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَ ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، ثُمَّ إِذَا جِيدٌ تَدْخُلُ عَلَيْنَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا رَأَتْنَا ارْتَاعَتْ لِذَلِكَ وَقَالَتْ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قُلْتُ: أُخْتُكِ. قَالَتْ: وَمَا السَّبَبُ؟ قُلْتُ: هِيَ تُخْبِرُكِ؛ فَإِنَّهَا لَعَمْرُ اللَّهِ عَالِمَةٌ. وَأَخَذْتُ ثِيَابِي وَمَضَيْتُ إِلَى صَاحِبِي ، فَرَكِبْتُ أَنَا وَهُوَ ، وَحَدَّثْتُهُ مَا أَصَابَنِي ، وَكَشَفْتُ لَهُ عَنْ ظَهْرِي ، وَإِذَا فِيهِ مَا غَرَسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ

ضَرْبَةٍ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى ، كُلُّ ضَرْبَةٍ يَخْرُجُ مِنْهَا الدَّمُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: لَقَدْ عَظُمَتْ صَنِيعَتُكَ ، وَوَجَبَ شُكْرُكَ ، وَخَاطَرْتَ بِنَفْسِكَ ، فَلَا أَحْرَمَنِي اللَّهُ مُكَافَأَتَكَ ف"تمير الهلالي"يعد راويا ومشاركا بدور البطولة في آن واحد حيث كان عنصرا فاعلا في صيرورة الأحداث إذ تحمل من زوج "جيد"ضربا موجعا أدمى ظهره حتى تتمكن من لقاء حبيبها

* الحضور الثانوي للسارد :

الراوي المشاهد لما يسرد :

هذا الراوي بخلاف الراوي البطل الذي احتل المركزية في السرد ، فالراوي المشاهد يحفل بدور هامشي وشخصية ثانوية ترافق البطل وتنقل ما يقع أمام ناظريها من وقائع وأحداث في زمان ومكان ما من دون أنْ تشارك فيها، فالراوي الشاهد إذن "هو راوي حاضر لكنه لا يتدخل ، لا يحلل ، إنّه يروي من خارج ، عن مسافة بينه وبين ما أوجز ، يروي عنه" (١). وخير مثال على الراوي المشاهد في "اعتلال القلوب"ما رواه "الخرائطي"على لسان بعض جلساء "سفيان ابن عيينة"(٢)حين رأى ذلك الرجل القادم من العراق. يقول"الخرائطي"(٣)

حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنَا بَعْضُ ، جُلَسَاءِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ يَوْمًا فَمَرَّ ابْنُ جَامِعٍ السَّهْمِيُّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَقَدْ قَدِمَ مِنَ الْعِرَاقِ

١- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ص٩٨ .

٢- "شيخ الحجاز وأحد الأعلام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي، مولاهم، الكوفي الحافظ نزيل مكة. توفي أول رجب سنة ثمان وتسعين ومئة وله إحدى وتسعون سنة. ينظر:العبر ٢٥٤/١.

٣- "اعتلال القلوب برقم ٦٠٢ ٣٠١/٢.

مِنْ عِنْدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ تَبْدُو مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ ، فَقَالَ سُفْيَانُ: " مَنْ هَذَا الَّذِي يَخْدَعُ هَؤُلَاءِ بِمَا يَقُولُ؟ لَيْتَنِي سَمِعْتُ مَا يَقُولُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: إِنَّمَا يَقُولُ لَهُمُ الشِّعْرَ ، وَلَكِنَّهُ يُحَسِّنُهُ مِثْلَ أَيِّ شَيْءٍ قَالَ: يَقُولُ: [البحر المتقارب]

وَأَسْهَرُ بِاللَّيْلِ بَيْنَ التِّيَامِ ... وَأَتْلُو مِنَ الْمُحْكَمِ الْمُنْزَلِ

قَالَ سُفْيَانُ: حَسَنٌ قَالَ ، وَيَقُولُ:

وَأَصْحَبُ بِاللَّيْلِ أَهْلَ الطَّوَافِ ... وَأَرْفَعُ مِنْ مِئْزَرِي الْمُسْبَلِ

قَالَ سُفْيَانُ: حَسَنٌ قَالَ يَقُولُ:

عَسَى كَاشِفُ الْكَرْبِ عَنْ يُوسُفٍ ... يُسَخِّرُ لِي رَبَّةَ الْمَحْمَلِ

قَالَ: أَمَّا هَذَا فَدَعْهُ

فجليس"سفيان ابن عيينة"روى الخبر دون أن يشارك في صنع أحداثه واكتفى بدور المشاهدة من هنا وُصف هذا اللون من الرواة أنّه تقنية آلية فهو بمثابة العين التي تكتفي بنقل ما وقع أمامها ، وبمثابة الأذن التي تكتفي بنقل ما تسمع من دون تخطي حدود ذلك أو تجاوزه(١) ،

ثانياً : المسرود له

يُمثل المسرود له أو المروي له مكوناً أساساً من مكونات العملية السردية، فهو الشخص الذي يُسرد له(٢) وهو على جانب كبير من الأهمية إذ "يحدد قبلياً في بعض الحالات والظروف نوعية ما يريد أنْ يُسرد عليه" (٣).

١- ينظر : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ص ٩٨ .

٢- ينظر : عالم الرواية : رولان بورنوف وغيره ، ترجمة : نهاد التكرلي ، ص١٤٥،دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٩١م.

٣- السرد العربي القديم ،ص٩٩ .

وإذا كان الراوي هو من يسرد الأحداث فإن المروي له هو من يتلقاها ومن ثَمِّ يكون إنتاج السرد لأجله ،وينبغي التفريق بين شخصية القارئ الحقيقي المؤلف من لحم ودم وبين شخصية المروي له (القارئ الضمني) كونه كائناً من الخيال يتولد لحظة قراءة النص السردي فقط(١).

ويختلف شكل المروي له وظهوره في السرد من نص إلى آخر ، فقد يكون المروي له واحداً أو متعدداً يخاطبهم راوي واحد داخل العمل السردي مما يفترض بدوره احتمال قراءات متعددة ومن ثَمَّ إنتاج دلالات متعددة من قبل قراء متعددين يتلقون ما يسرد لهم(٢).

ومن أشكال المروي له ما يُطلق عليه المروي له العام أو المروي له الخاص ولكلٍّ منهما سماته الخاصة ،

الأول : المروي له غير الظاهري / العام :

وهو مروٍ له يبقى خارج نطاق السرد من دون أنْ نجد ملامح محددة داخل الخطاب السردي ،على الرغم من أنّ المؤلف يوجّه سرده الكلي اليه(٣). ولم نحدد مرويا له غير ظاهري لأخبار"اعتلال القلوب".

ثانياً : المروي له الظاهري / المخصوص :

يشكل هذا المروي له واحداً من شخصيات القصِّ ، يصغي إلى الراوي ويتلقى منه ، وهو بخلاف الأول إذ يكونَ واضحَ الملامحِ محددَ القسمات ويبرز في النص الروائي كشخصية تشاهد وتراقب الأحداث أو

١- ينظر : الصوت الآخر (الجوهر الحواري للخطاب الأدبي) : فاضل ثامر ، ص ٥١٣،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢.

٢- ينظر : تحليل الخطاب الروائي : سعيد يقطين ص٣٧١ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ١٩٨٨م،.

٣- ينظر : الصوت الآخر ص ١٣٨.:

تشارك فيها(١).والمروي له في "اعتلال القلوب" مروٍ له ظاهري في بعض الأخبار ومنها خبر الأعرابي الباحث عن إبله الضالة الملتقي بامرأة جميلة ثكلت زوجها فعرض عليها زواجا فأبت.

يقول"الخرائطي"(٢):

حدثنا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعُتْبِيُّ قَالَ: " خَرَجْتُ إِلَى الْمِرْبَدِ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا أَنَا بِأَعْرَابِيٍّ عَالِمٍ، فَمِلْتُ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ عِلْمِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَعْرَابِيُّ، حَدِّثْنِي بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ضَلَّتْ إِبِلِي مِنْ أَرْنَبَ خَرَجَ فِي وَجْهِهَا لَيْلًا إِلَى بِلَادِ عُذْرَةَ، فَإِذَا بَيْتٌ مُنْتَبَذٌ عَنِ الْأَخْبِيَةِ، لَيْسَ فِيهِ رُؤْيَةُ أَنِيسٍ، وَإِذَا عَلَى بَابِهِ جُوَيْرِيَةٌ كَاشِفَةٌ وَجْهَهَا، كَأَنَّ وَجْهَهَا سَيْفٌ صَقِيلٌ، فَلَمَّا رَأَتْنِي مُتَأَمِّلًا لَهَا أَرْخَتِ الْبُرْقُعَ وَقَالَتْ: يَا عَمُّ، انْزِلْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ قُدَّامِي لَبَنًا أَوْ مَاءً قَالَ: فَأَنَخْتُ وَنَزَلْتُ قَالَتْ: مَا تَشَاءُ؟ قُلْتُ: لَبَنًا، فَوَلَّتْ كَأَنَّهَا قَضِيبٌ يَنْثَنِي، فَأَخْرَجَتْ عُلْبَةً مَمْلُوءَةً لَبَنًا فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِيتُ ثُمَّ اسْتَلْقَيْتُ، وَأَتَتْ فِي اسْتِلْقَائِي، فَقَالَتْ: يَا عَمُّ، إِنِّي لَأَرَاكَ تَعِبًا، فَمَا الَّذِي أَتْعَبَكَ؟ فَقُلْتُ: يَا حَبِيبَتِي، ضَلَّتْ إِبِلِي مِنْ ثَلَاثٍ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهَا، فَقَالَتْ: يَا عَمُّ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهَا؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، وَتَتَّخِذِي بِذَلِكَ عِنْدِي يَدًا، فَقَالَتْ: سَلِ الَّذِي أَعْطَاكَ سُؤَالَ يَقِينٍ لَا سُؤَالَ اخْتِبَارٍ، فَقُلْتُ: يَا حَبِيبَةُ، هَلْ لَكِ مِنْ بَعْلٍ؟ قَالَتْ: قَدْ كَانَ فَدُعِيَ إِلَى مَا مِنْهُ خُلِقَ، فَقُلْتُ: فَهَلْ لَكِ فِي بَعْلٍ لَا تُذَمُّ خَلَائِقُهُ، وَيُأْمَنُ الْمُعِدُّ بَوَائِقَهُ؟ فَاسْتَعْبَرَتْ بَاكِيَةً، ثُمَّ قَالَتْ: [البحر الطويل]

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي عُودٍ غِذَاؤُهُمَا ... مَاءُ الْجَدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَّاتِ

١- ينظر :السابق ص١٣٠ .

٢- "اعتلال القلوب برقم ٣٩٧ ١٨٩/١.

فَاجْتَثَّ خَيْرَهُمَا مِنْ جَنْبِ صَاحِبِهِ ... دَهْرٌ يَكِرُّ بِرَوْعَاتٍ وَبَرْحَاتِ
وَكَانَ عَاهَدَنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ ... أَلَّا يُضَاجِعَ أُنْثَى بَعْدَ مَثْوَاتِ
وَكُنْتُ عَاهَدْتُهُ أَيْضًا فَعَاجَلَهُ ... رَيْبُ الْمَنُونِ قَرِيبًا مُذْ سِنِيَّاتِ
فَاصْرِفْ عَنَانَكَ عَنْ مَنْ لَيْسَ يَصْرِفُهَا ... عَنِ الْوَفَاءِ خِلَابٌ فِي التَّحِيَّاتِ
قَالَ: ثُمَّ جَهِدْتُ بِهَا أَنْ تُرِيَنِي الطَّرِيقَ أَوْ تُكَلِّمَنِي فَأَبَتْ "

فالخبر يرويه الأعرابي ل"محمد بن عبيد الله العتبي"(١)الذي يعد مرويا له ظاهريا وهو بنفس الواقت كذلك يعد راويا أخذ عنه "الخرائطي"خبره.

ثالثا:المسرود:

المسرود أو المروي هو الذي يقال ويضم مصطلح المروي تحت مسمّاه أمرين هما : الشخصية والحدث ،

الشخصية :

هي"أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية." (٢)

ومن أقوى الدلائل على أهمية الشخصية كركن هام في العمل السردي ومركزيته تلك العناية الكبيرة التي يوليها القاص لشخصياته وهو يرسم أوصافها ويحدد ملامحها الداخلية والخارجية ،. فلو ذهبت من أية قصة قصيرة لصنفت ربما في جنس المقالة مما يفقد السرد نوعه الأدبي فهي عنصر بنائي مهم لا يمكن تجاوزه .

---

(١) العتبي الأخباري. وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي. أحد الفصحاء الأدباء من ذرية عتبة بن أبي سفيان بن حرب. كان من أعيان الشعراء بالبصرة. سمع أباه، وسمع أيضاً من سفيان بن عيينة عدة أحاديث، والأخبار أغلب عليه توفي سنة ثمان وعشرين ومئتين. ينظر:العبر ٣١٧/١.

(٢) ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب :مجدي وهبة ص ١١٧ ١٩٧٩م.

أشكال الشخصيات :

تعد الشخصية الشريان النابض والعصب الحيّ الذي يمدّ القصّ بحيويته وطاقته لتكون مركز اشعاع النص وسرّ تألقه

ويتم تقسيم الشخصية من حيث الدور الذي تلعبه والأهمية التي تشكلها إلى الشخصية المحورية والشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية.

١-الشخصية المحورية:وهي جزء من الشخصية الرئيسة غير أنها تنال من الاهتمام أكثر من ما تناله الشخصيات الرئيسة الأخرى. وفي أحيان كثيرة ولدى أغلب النقاد والأدباء تكون مرادفة للشخصية الرئيسة،

تأتي الشخصية المحورية لتجسد فكرة البطل(فقد كان من المألوف في القصة أن يقوم شخص من أشخاصها بدور البطولة في أحداثها وينال تصويره من الكاتب العناية الكبرى ويكون محور القصة)١. ونعني بالمحورية الشخصية التي توظف لها عناصر العمل الروائي كافة من حدث وحبكة، إلى الحوار والتقديم في المكان وفي الزمان، والشخصيات الرئيسة الأخرى الشخوص الثانوية الهامشية لتسليط الضوء عليها.

٢-الشخصية الرئيسة أو المهيمنة:

يقصد بها الشخصية من حيث وصفها في مجمل المساحة النصية من بداية النص حتى نهايته أو من حيث نوع العلاقة (أو العلاقات) السالبة أو الإيجابية القائمة بينها وبين رؤية الحدث المتلقى -إذ تبدي مختلف ردود فعلها-. (٢).

---

(١) ينظر:النقد الأدبي الحديث : د / محمد غنيمي هلال، ص٥٣٣،نهضة مصر، الطبعة السادسة ، يونيو ٢٠٠٥ م .

(٢) ينظر: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ :د/ بدري عثمان،ص ١٧٠، دار الحداثة، بيروت،الطبعة الأولى ١، ١٩٨٦.

٣-الشخصية الثانوية:وهي فرد عامل مساعد ،يدور في فلك الشخصية الرئيسية. (١) وهذا اللون من الشخصيات يأتي مرافقاً للشخصيات الرئيسة مُسهماً في استكمال نواقص النص وسدّ الفراغ الحاصل فيه من خلال تأديــة دورها الثانوي.

وهي مجرد ظلال لا يتجاوز دورها الوظيفة التفسيرية لكنها قد تكــون مؤثرة في مجرى الحدث العام. وفي محاولة للتطبيق نأخذ مثالا من "اعتلال القلوب"حيث يروي"الخرائطي"خبر عشق فتيٍ تميمي جارية من بني شــيبان خفية دون علم أخوتها حيث كان يأتيها ليلا ولما باغتته بالزيارة ذات مــرة رماها بسهمه خطئًا فماتت فقتل نفسه ندما على ما فعل.

يقول"الخرائطي"(٢):

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْــرَاهِيمَ، عَــنْ أَبِــي مِسْكِينٍ قَالَ: " ضَلَّتْ نَاقَةٌ لِفَتًى مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَخَرَجَ بَنِي شَيْبَانَ يَنْشُدُهَا فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ بَصُرَ بِجَارِيَةٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا وَجَمَالًا فَعَشِقَهَا عِشْقًا مُبَرِّحًا، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ أَذْهَبَتْ عَقْلُهُ، فَمَا تَمَالَكَ أَنْ رَجَعَ إِلَى حَيِّهِمْ، فَلَمَّا هَــدَأَ اللَّيْــلُ قَالَ: لَعَلِّي أُسْكِنُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا بَعْضَ مَا بِي. فَأَتَاهَا وَهِيَ جَالِسَةٌ وَإِخْوَتُهَا نِيَامٌ حَوْلَهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا قُرَّةَ عَيْنِي، قَدْ وَاللَّهِ أَذْهَبَ الشَّوْقُ عَقْلِي وَكَــدَّرَ عَلَــيَّ عَيْشِي. فَقَالَتْ: امْضِ إِلَى مَالِكَ، وَإِلَّا أَنْبَهْتُ إِخْوَتِي فَقَتَلُوكَ. فَقَــالَ لَهَــا: إِنَّ الْقَتْلَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الَّذِي أَنَا فِيهِ. قَالَتْ: وَهَلْ يَكُونُ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْــلِ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَا أَنَا فِيهِ مِنْ حُبِّكِ. قَالَتْ لَهُ: فَمَا تَشَاءُ؟ قَالَ: أَمْكِنِينِي مِنْ يَــدَيْكِ حَتَّى أَضَعَهَا عَلَى قَلْبِي، وَلَكِ عَهْدُ اللَّهِ أَنِّي أَرْجِعُ. فَفَعَلَتْ. فَرَجَــعَ، فَأَقْبَلَــتْ

(١) ينظر: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ :د/ بدري عثمان ص٢٣٤.
(٢) "اعتلال القلوب برقم ٤٢٥ ٢١٢/١.

تَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَنَدَرَ بِهِ حَيُّهَا وَإِخْوَتُهَا، فَقَالُوا: مَا لِهَذَا الْكَلْبِ قَدْ أَطَالَ الْمُكْثَ فِي الْخَيْلِ وَهُوَ يَتَخَطَّانَا؟ فَقَعَدُوا لِطَلَبِهِ فِي لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ. وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنَّ الْقَوْمَ يُرِيدُونَكَ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ، وَإِيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ. فَجَاءَتِ السَّمَاءُ بِمَطَرٍ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ طَلَبِهِ، ثُمَّ انْجَلَتِ السَّحَابُ وَطَلَعَ الْقَمَرُ فَتَطَيَّبَتِ الْجَارِيَةُ وَنَشَرَتْ شَعْرَهَا، وَأُعْجِبَتْ بِنَفْسِهَا، وَاشْتَهَتْ أَنْ يَرَاهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَالَتْ لِتِرْبٍ لَهَا قَدْ كَانَتْ أَطْلَعَتْهَا عَلَى شَأْنِهَا: يَا فُلَانَةُ، أَسْعِدِينِي عَلَى الْمُضِيِّ إِلَيْهِ، فَخَرَجَتَا يُرِيدَانِهِ وَهُوَ عَلَى الْخَيْلِ خَائِفٌ مِنَ الطَّلَبِ لَمَّا حَذَّرَتْهُ. فَبَصُرَ شَخْصَيْنِ يَسِيرَانِ فِي الْقَمَرِ، فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُمَا مِنَ الْمُطَالِبِينَ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا فَمَا أَخْطَأَ قَلْبَ صَاحِبَتِهِ، فَسَقَطَتْ لِوَجْهِهَا مُضَرَّجَةً بِدَمِهَا، فَلَمْ تَزَلْ تَضْطَرِبُ حَتَّى مَاتَتْ، فَبُهِتَ شَاخِصًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: [البحر الكامل]

نَعَبَ الْغُرَابُ بِمَا كَرِهْـ ... ـتُ وَلَا إِزَالَةٌ لِلْقَدَرْ

تَبْكِي وَأَنْتَ قَتَلْتَهَا ..... فَاصْبِرْ وَإِلَّا فَانْتَحِرْ

ثُمَّ جَمَعَ نَبْلَهُ فَجَعَلَ يُجَابِهَا أَوْدَاجَهُ حَتَّى قَتَلَ نَفْسَهُ "

فالشخصية المحورية في الخبر السابق التي احتلت دور البطولة هي شخصية الجارية التي شغفت الفتى التميمي حبا إذ يتمحور حولها جميع الأحداث ويدور في فلكها بقية الشخصيات و يمثل التميمي شخصية رئيسة ذات دور أساس في سير الأحداث بحيث لا يمكن الاستغناء عنها وأخوة الجارية وصديقتها شخصيات ثانوية تسهم في التعرف أكثر على الشخصياة الرئيسة.

وتقسم الشخصية تبعا لطريقة دورها إلى قسمين وهما الشخصيات المسطحة أو البسيطة والشخصيات النامية أو المركبة أو المستديرة .

١-الشخصية المسطحة

أو الشخصية ذات المستوى الواحد هي الشخصية البسيطة في صراعها غير المعقدة، وتمثل صفة أو عاطفة واحدة، وتظل سائدة بها من مبدأ القصة حتى نهايتها، ويعوزها عنصر المفاجأة، إذ من السهل معرفة نواحيها إزاء الأحداث أو الشخصيات الأخرى.

وهي أيسر تصويراً وأضعف فناً؛ لأن تفاعلها مع الأحداث قائم على أساس بسيط.

٢-الشخصية النامية

هي التي تتطور وتنمو قليلاً قليلاً، بصراعها مع الأحداث او المجتمع، فتتكشف للقارىء كلما تقدمت في القصة، وتفجؤه بما تعني به من جوانبها وعواطفها الإنسانية المعقدة. (١).

وهي تحتاج إلى جهد في رسمها وسرد تفاصيل تفاعلها مع الأحداث.

ومن التطبيقات على الشخصية المسطحة والنامية ما يرويه"الخرائطي" في كتابه "اعتلال القلوب"عن خبر"ابن أبي ربيعة"الذي قرر اعتزال الشعر حتى رأى قصة حب حركت ملكاته الشعرية فعاود قرض الشعر بعد أن تدخل لإتمام زواج الحبيبين.

قال"الخرائطي"(٢):

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، كَانَ قَدْ تَرَكَ الشِّعْرَ وَرَغِبَ عَنْهُ ، وَنَذَرَ عَلَى نَفْسِهِ لِكُلِّ بَيْتٍ يَقُولُهُ هَدْيَ بَدَنَةٍ ، فَمَكَثَ

١- "ينظر: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ :د/ بدري عثمان ص٥٣١.

٢- "اعتلال القلوب برقم ٥٢٧ ٢٦١/٢.

بِذَلِكَ حِينًا ثُمَّ خَرَجَ لَيْلَةً يُرِيدُ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ ذَاتِ جَمَالٍ تَطُوفُ ، وَإِذَا رَجُلٌ يَتْلُوهَا ، كُلَّمَا رَفَعَتْ رِجْلَهَا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ رِجْلِهَا ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمَا ، فَلَمَّا فَرَغَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَوَافِهَا تَبِعَهَا الرَّجُلُ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ رَجَعَ وَفِي قَلْبِ عُمَرَ مَا فِيهِ ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ وَثَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: لَتُخْبِرَنِّي عَنْ أَمْرِكَ قَالَ: نَعَمْ ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَيْتَ ابْنَةُ عَمِّي ، وَأَنَا لَهَا عَاشِقٌ ، وَلَيْسَ لِي مَالٌ فَخَطَبْتُهَا إِلَى عَمِّي فَرَغِبَ عَنِّي وَسَأَلَنِي عَنِ الْمَهْرِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَ هُوَ حَظِّي مِنْهَا وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا أُمْنِيَةٌ غَيْرُهَا ، وَإِنَّمَا أَلْقَاهَا عِنْدَ الطَّوَافِ ، وَحَظِّي مَا رَأَيْتَ مِنْ فِعْلِي. قَالَ لَهُ عُمَرُ: وَمَنْ عَمُّكَ؟ قَالَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَالَ: انْطَلَقَ مَعِي إِلَيْهِ ، فَانْطَلَقْنَا فَاسْتَخْرَجَهُ عُمَرُ فَخَرَجَ مُبَادِرًا فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ؟ قَالَ: تُزَوِّجُ ابْنَتَكَ فُلَانَةَ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فُلَانٍ ، وَهَذَا الْمَهْرُ الَّذِي تَسْأَلُهُ مُسَاقٌ إِلَيْكَ مِنْ مَالِي. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ فَعَلْتُ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُحِبُّ لَا أَبْرَحُ حَتَّى يَجْتَمِعَا. قَالَ: وَذَلِكَ أَيْضًا. قَالَ: فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى جَمَعَهُمَا وَأَتَى مَنْزِلَهُ فَاسْتَلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ فَجَعَلَ النَّوْمُ لَا يَأْخُذُهُ ، وَجَعَلَ جَوْفُهُ يَجِيشُ بِالشِّعْرِ ، فَأَنْكَرَتْ جَارِيَتُهُ ذَلِكَ فَجَعَلَتْ تَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِهِ وَتَقُولُ: وَيْحَكَ ، مَا الَّذِي دَهَاكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ جَلَسَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[البحر الوافر

تَقُولُ وَلِيدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي ... طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا

أُرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقًا ... وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينَا

بِرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ ... فَشَاقَكَ أَمْ رَأَيْتَ لَهَا خَدِينَا

فَقُلْتُ: شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ ... لِبَعْضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا

تَعُدُّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ ... فَوَافَقَ بَعْضَ مَا كُنَّا لَقِينَا

وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَإِنْ تَغَنَّى ... يُهَيَّجُ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا

وَكَمْ مِنْ خَلَّةٍ أَعْرَضْتُ عَنْهَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَا
رَأَيْتُ صُدُودَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا ... وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جَنِينَا

فشخصية"عمر بن أبي ربيعة"تعد شخصية نامية تتغير بتطور الأحداث فبعد عزمه على ترك الشعر ونذره لكل بيت شعر هديا يستفز ملكته الشعرية المرأة التي تطوف بالبيت والرجل الذي يتبعها وهما يمثلان شخصيات مسطحة لم تغيرهما الأحداث بمجرياتها.

طرائق تقديم الشخصية

يتفق أغلب النقاد على تحديد طرائق رسم الشخصية ،(ما خلا القليل منهم) ،إذ أن هناك طرائق متميزة لتصوير الشخصية أو تشخيصها وهي:

الطريقة الأولى-الطريقة التحليلية (١)

وهي الطريقة التي يقدم بها المؤلف أو السارد الشخصية إلى المتلقي مباشرةً من خلال وصف مظهرها الخارجي ،وأحوالها الفكرية والثقافية وانفعالاتها وشعورها الداخلي ،إذ يحدد لنا ملامحها منذ البداية على الأغلب وبأسلوب الحكاية أو الإخبار وبصيغة الماضي ،إذ تأتي هذه الصيغة لعرض الشخصية التي يتفنن المؤلف في عرضها عبر تدخلاته المستمرة في مجرى السرد. (٢)

وهناك عدة طرق لرسم الشخصية عبر الطريقة التحليلية وهي:

١. قيام السارد أو المؤلف بتقديم الشخصية بنفسه.

---

(١) النقد الأدبي: احمد امين ، ١٣٨/١،دار الكتاب العربي ، بيروت،الطبعة الرابعة ، ١٩٦٧:١٣٨/١.

(٢) ينظر:السابق :١٣٨/١.

٢. تقديم الشخصية بعرض نفسها من خلال حديثها بضمير المتكلم ،مع الإبقاء على أسلوب الإخبار الذي يمسك به المؤلف أو السارد لعرض أفعالها وأحوالها.

٣. تقديم الشخصيات القصصية للشخصية:وهو أن تتحدث أحدى الشخصيات القصصية عن شخصية أخرى وتقوم عبر حديثها بعرض هذه الشخصية من زاوية رؤيتها الخاصة. (١)

ومن نماذج تقديم الشخصية بالطريقة التحليلية في "اعتلال القلوب"خبر ذلك الراهب المنقلب على عقبيه بعد وسوسة الشيطان له بارتكاب الفاحشة مع مريضته ثم قتلها منتهيا إلى السجود للشيطان.

يقول"الخرائطي" (٢):

– حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: " كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَاهِبٌ يَعْبُدُ اللَّهَ زَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى كَانَ يُؤْتَى بِالْمَجَانِينِ يُعَوِّذُهُمْ فَيَبْرَءُوا عَلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ فِي شَرَفٍ مِنْ قَوْمِهَا قَدْ جُنَّتْ وَكَانَ لَهَا إِخْوَةٌ فَأَتَوْهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لَهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا اسْتَبَانَ حَمْلُهَا لَمْ يَزَلْ يُخَوِّفُهُ وَيُزَيِّنُ لَهُ قَتْلَهَا حَتَّى قَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، فَذَهَبَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَتَّى أَتَى بَعْضَ إِخْوَتِهَا فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي فَعَلَ الرَّاهِبُ، ثُمَّ أَتَى بَقِيَّةَ إِخْوَتِهَا رَجُلًا رَجُلًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِي أَخَاهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَانِي آتٍ فَذَكَرَ لِي شَيْئًا كَبُرَ عَلَيَّ ذِكْرُهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ حَتَّى رَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَسَارَ النَّاسُ حَتَّى اسْتَنْزَلُوهُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ،

١– ينظر:بنية الشكل الروائي ص٢٢٣,٢٢٤,٢٣٣.

٢– "اعتلال القلوب برقم ١٩٦ ١٠١/١.

وَأَقَرَّ لَهُمْ بِالَّذِي فَعَلَ فَأُمِرَ بِهِ فَصُلِبَ، فَلَمَّا رُفِعَ عَلَى خَشَبَةٍ تَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي زَيَّنْتُ لَكَ هَذَا، وَأَلْقَيْتُكَ فِيهِ، فَهَلْ أَنْتَ مُطِيعِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ، وَأُخَلِّصُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: تَسْجُدُ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً، فَسَجَدَ لَهُ، وَقُتِلَ الرَّجُلُ.

فقد قدم السارد "ابن عباس"(١)الراهب واصفا إياه بالراهب العابد منذ زمن يعوذ المجانين في بداية سرد الأحداث حتى يكون القارئ فكرة عامة عنه قبل الاسترسال في قراءة الخبر.

الطريقة الثانية –الطريقة التمثيلية (٢)

هي الطريقة التي تقدم فيها الشخصيات ممثلة من غير توجيه (أو بتوجيه ضئيل من المؤلف أو السارد) وكأنها تمثل على خشبة مسرح الحياة ،إذ تتيح لنا هذه الطريقة رؤية أفعال الشخصية وهي تعمل ،وسماع كلامها وردود أفعالها أو مواقفها من الآخرين بشكل مباشر. (٣)

ولعل أبرز طرق عرض الشخصية في الأسلوب التمثيلي: الحوار:فهو خير أسلوب لمعرفة أو لرسم الشخصية ،ومن نماذج تقديم الشخصية بالطريقة التمثيلية في "اعتلال القلوب"خبر "ابن الخطاب"مع المرأة الطائفة بالبيت وهي مبتلاة بالجذام حيث أمرها بلزوم بيتها فامتثلت حتى بعد وفاتها. قال"الخرائطي" (٤):

١- "عبد الله بن عباس الهاشمي الفقيه المفسر الحبر البحر، توفي بالطائف، سنة ثمان وستين عن إحدى وسبعين سنة.ينظر:العبر ٥٦/١.

٢- النقد الأدبي :١٣٨/١.

٣- ينظر:النقد التطبيقي التحليلي :د/ عدنان خالد عبد الله ، ص ٦٨,٦٩،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى الطبعة الأولى .

٤- "اعتلال القلوب برقم ٤٠٤ ١٩٦/١.

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عُمَرَ، رَحِمَهُ اللَّهُ: " مَرَّ بِامْرَأَةٍ مَجْذُومَةٍ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَةَ اللَّهِ، لَا تُؤْذِي النَّاسَ وَاجْلِسِي فِي بَيْتِكِ، فَجَلَسَتْ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي نَهَاكِ قَدْ مَاتَ، فَطُوفِي بِالْبَيْتِ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ حَيًّا وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا "

فالشخصية هي التي قامت بتقديم نفسها من خلال الحوار ف"عمر بن الخطاب"–رضي الله عنه–خليفة المسلمين الآمر بالمعروف كشف لنا عن ذلك الجانب في شخصيته بحواره مع المرأة المجذومة التي أمرها بلزوم بيتها حفاظا على المجتمع من العدوى وإلتزامها بأمره حيا وبعد وفاته يكشف عن إئتمارها بأمره وحرصها على كف الأذى عن المسلمين.

الحدث

الحدث هو " فعل الشخصية وحركتها داخل القصة وهو يرتبط بوشائج قوية مع بقية الأدوات الفنية الأخرى ولاسيما الشخصية .. " (١)

والحدث مرتبط " بمحورين أحدهما زمان حصول الفعل أو لنقل السقف الزماني للحدث والآخر الأرضية المكانية التي لا يمكن لحدث أن يتحقق إلا على مهادها . والعنصران كلاهما لا ينفصلان عن الحدث بأي شكل من الأشكال"(٢).

١- بناء الحدث في الفن القصصي – رواية تنظيرية – : د / صبري مسلم / مجلة اليرموك ، الاردن ، العدد ٦٠ ، ١٩٩٨ ص ٤٢ ،٤٤.

٢- السابق ص٤٤.

الأنساق البنائية للحدث :

لا يطابق الحدث داخل العمل القصصي الحدث في واقع الحياة لكنه يشبهه في خطوطه العامة إذ يتدخل عنصر الخيال طرفا مهما في عملية الخلق الفني ومن ثم تتعدد أنساق الحدث

والنسق هو الطريقة التي يختارها الراوي في إيصال الأحداث للمروي له ، متبعاً عدّة طرائق ، فهو تارةً يسعى إلى عرضها بأسلوب تتابعي منطقي وتارة أخرى يعرضها بشكل تضميني أو دائري أو فوضوي ،.

١ــ نَسَق التتابع :

وهو عبارة عن تكون الحكاية من متتاليتين إحداهما تعقب الأخرى بعد انتهائها على وفق منطق التتابع والتسلسل بينهما (١)، إذ يسعى فيه الراوي إلى سرد الأحداث بشكل خيطي متسلسل مخضعاً بناء الحدث "لمنطق السببية، فالسابق يكون سبباً للاحق ، ويظلّ الروائي ينسج حبكة النص صاعداً إلى الأمام بشكل أفقي خطّي فيتأزم المتن الحكائي في لحظة ما هي الذروة ، ثم تنفرج في نهاية يغلق فيها الراوي النص" (٢).

ومن امثلته خبر الأخوين المتحابين حين سافر أحدهما فأبصر الآخر زوجته فووقعت في قلبه فمرض بداء الهوى ونحل جسمه حتى أشرف على الهلاك فلما علم أخوه بعلته طلق امرأته لأجله فأبى فمات عشقا.

يقول "الخرائطي " (٣):

١- ينظر : مسألية القصة من خلال بعض النظريات الحديثة : الرشيد الغزي ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس، الجزء الأول ، العدد (١) ، السنة ٢ ، ١٩٧٦ ص٣٨.

٢- الزمن في الرواية العربية : مها حسن القصراوي ، ص 65،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس ، الاردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤.

٣- "اعتلال القلوب برقم ٤٠٨ ١٩٨/١.

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَدٍ الْأَرْمِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ الدُّولَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ: " كَانَ أَخَوَانِ مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي كُنَّةَ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّحَابُبِ وَالْإِيثَارِ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَخُوهُ عِنْدَهُ عَدْلُ نَفْسِهِ، وَإِنَّ الْأَكْبَرَ خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ لَهُ، وَلَهُ امْرَأَةٌ فَأَوْصَى أَخَاهُ بِحَاجَةِ أَهْلِهِ، بَيْنَمَا الْمُقِيمُ فِي دَارِ الظَّاعِنِ، إِذْ مَرَّتِ امْرَأَةُ أَخِيهِ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ الْبَشَرِ فِي دِرْعٍ تَجُوزُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ: فَرَآهَا، فَرَأَى شَيْئًا حَيَّرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ وَلْوَلَتْ، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَدَخَلَتْ بَيْتًا، وَوَقَعَ حُبُّهَا فِي قَلْبِهِ، فَجَعَلَ يَذُوبُ فَنَحِلَ جِسْمُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَقَدِمَ أَخُوهُ فَقَالَ: يا أَخِي، مَالِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرًا؟ مَا وَجَعُكَ؟ قَالَ: مَا بِي وَجَعٌ، فَدَعَا [ص:١٩٩] لَهُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ يَقَعْ أَحَدٌ عَلَى دَائِهِ غَيْرُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ، وَكَانَ طَبِيبًا، فَقَالَ: أَرَى عَيْنَيْنِ صَحِيحَتَيْنِ، وَمَا أَدْرِي مَا هَذَا الْوَجَعُ، وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا عَاشِقًا قَالَ أَخُوهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَسْأَلُكَ عَنْ وَجَعِ أَخِي وَأَنْتَ تَسْتَهْزِئُ قَالَ: فَمَا فَعَلْتُ، وَسَأَسْقِيهِ شَرَابًا عِنْدِي، فَإِنْ يَكُنْ عَاشِقًا فَسَيَتَبَيَّنُ لَكُمْ، فَأَتَاهُ يَشْرَبُ، فَجَعَلَ يَسْقِيهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، فَلَمَّا أَخَذَ الشَّرَابَ مِنْهُ تَهَيَّجَ وَتَكَلَّمَ، وَقَالَ: [البحر الهزج]

تَهَيَّجَ وَتَهَيَّجَ وَ ... حَزِينًا مَا أَكُونَنَّهْ
أَلَمَّا بِي عَلَى الْأَبْيَا ... تِ مَنْ خِيفَ نَذْرُهُنَّهْ
غَزَالٌ مَا رَأَيْتُ الْيَوْ ... مَ فِي دُورِ بَنِي كُنَّهْ
أَسِيلُ الْخَدِّ مَرْبُوبٌ ... وَفِي مَنْطِقِهِ غُنَّهْ

فَقَالَ: أَنْتَ أَطَبُّ الْعَرَبِ، ثُمَّ قَالَ: سَأُعِيدُ لَهُ الشَّرَابَ فَلَعَلَّهُ يُسَمِّي، فَأَعَادَ لَهُ الشَّرَابَ، فَقَالَ: [البحر الخفيف]

أَيُّهَـــا الْحَـــيُّ سَـــلِّمُوا ... وَأَرِبُعـــوا كَـــيْ تَكَلَّمُـــوا
خَرَجَـــتْ مُزْنَـــةٌ مِـــنَ الْـــ ... بَحْـــرِ رِيَّـــا تُحَمْحِـــمُ
وَتُفْضُـــوا لَبَانَـــهُ ... وَتَحْيَـــوْا وَتَغْنَمُـــوا
هِـــيَ مَـــا كُنْتِـــي وَتَـــزْ ... عُـــمُ أَنِّـــي لَهَـــا حَـــمُ
قَالَ: فَطَلَّقَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ الْمَرِيضُ: عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا إِنْ تَزَوَّجْتُهَا، فَمَـاتَ وَلَمْ يَتَزَوَّجْهَا "

فالأحداث متتابعة في تسلسل خروج الأخ الأكبر مسافرا ثم رؤية أخيه زوجه ووقوعها في قلبه ثم نحوله وعرضه على الطبيب فمحاولـة علاجـه بعرض أهله عليه مرورا باعترافه بحبه ثم تطليق أخاه حتى موته بعد رفضه الزواج.

ويعدُ هذا النسق من الأنساق "التي عُرفت منذ زمن حيث هيمن مـدة طويلة على فنّ القص بمختلف اجناسه ، فقد كانت الأحداث تقـدم للسـامع بنفس ترتيب وقوعها أي سردها وبحسب ترتيبها الزمني" (١).

٢ــ نسق التضمين :

وهو عبارة عن تكون الحكاية من متتاليتين إحداهما المتتاليـة الأم أو القصة الكبيرة، والثانية متتالية صغيرة تتضمن القصة الأم(٢)

وفي نسق التضمين قد تتفرع عن القصة الأم قصةً أو قصص أخـرى فرعية ومن نماذجه رواية "الخرائطي"لحديث نبوي شـريف (٣) متضـمنا ثلاث قصص متفرعة عن القصة الأم .

١- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا :ابراهيم جنداري،ص ٧٣،،دار الشؤون الثقافيـة- بغداد،٢٠٠١.

٢- ينظر : مسألية القصة من خلال بعض النظريات الحديثة، ص٣٨.

٣- "الحديث في صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفـي تحقيـق / محمد زهير بن ناصر الناصردار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم تـرقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ برقم ٣٤٦٥ ١٧٢/٤.

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَحَدَّثَنَا الرَّمَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا الْهِقْلُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الصَّدَفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمٌ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ الزَّجَّاجُ، عَنْ أَبِي سَعْدٍ، يَعْنِي الْبَقَّالَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ الْقَطَّانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَمَا نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ، إِذْ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ فِي غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الْغَارِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَالِحَةً، فَادْعُوهُ بِهَا، فَدَعَوُا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ، وَكُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ إِلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رَأْسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، فَجَعَلُوا يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ، وَكَانَ دَأْبَهُمْ

١- "اعتلال القلوب برقم ١٠٣ ٥٢/١.

حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فُرْجَةً. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، فَأَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرِجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ، فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ بِهِ بَقَرًا وَرَعَيْتُهَا لَهُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَظْلِمْنِي، وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَخُذْهُ فَهُوَ لَكَ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَخُذْ تِلْكَ الْبَقَرَ وَرَاعِيهَا، فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ "

فقد بني الخبر على نسق التضمين فخروج الثلاثة الذين أخذهم المطر حتى آووا إلى الغار الذي سدته الصخرة هو القصة الأم التي تفرع عنها ثلاث قصص الرجل البار بأبويه والآخر المتقي الله في ابنة عمه والثالث المستأجر الرادّ على أجيره حقه بعد حين.

٣ــ النسق الدائري :

هو البناء الذي تبدأ فيه أحداث القصة من النهاية ثم ترجع إلى بداية القصة أو أن تبدأ أحداث القصة من نقطة ما وتنتهي نهايتها بالنقطة التي تبدأ بها (١) ومن نماذجه في "اعتلال القلوب"خبر السجين الذي

١) ينظر :الفضاء الروائي ص ٨٠

سأله"الحجاج"(١)عن سبب سجنه فأخبره أن زوجة أخيه راودته عن نفسه فهرب فأمسك به العسكر.

يقول"الخرائطي" (٢):

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ، عَنْ رُكَيْنٍ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: عَرَضَ الْحَجَّاجُ سِجْنَهُ يَوْمًا: " فَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ لَهُ: مَا كَانَ جُرْمُكَ؟ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، أَخَذَنِي عَسَسُ الْأَمِيرِ، وَأَنَا مُخْبِرٌ بِخَبَرِي، فَإِنْ يَكُنِ الْكَذِبُ يُنَجِّي فَالصِّدْقُ أَوْلَى بِالنَّجَاةِ، فَقَالَ: وَمَا قِصَّتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَخًا لِفُلَانٍ فَضَرَبَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ الْبَعْثَ إِلَى خُرَاسَانَ، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَهْوَانِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولًا أَنْ قَدْ جَاءَنَا كِتَابُ صَاحِبِكَ فَهَلُمَّ لِتَقْرَأَهُ، فَمَضَيْتُ إِلَيْهَا فَجَعَلَتْ تَشْغَلُنِي بِالْحَدِيثِ حَتَّى صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَظْهَرَتْ لِي مَا فِي نَفْسِهَا مِنِّي، وَدَعَتْنِي إِلَى الشَّرِّ فَأَبَيْتُ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَأَصِيحَنَّ وَلَأَقُولَنَّ: إِنَّكَ لِصٌّ، فَخِفْتُهَا وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ عَلَى نَفْسِي، فَقُلْتُ: أَمْهِلِي حَتَّى اللَّيْلِ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ وَثِقْتُ بِشِدَّةِ حَرَسِ الْأَمِيرِ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا هَارِبًا، وَكَانَ الْقَتْلُ أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنْ خِيَانَةِ أَخِي، فَلَقِيَنِي عَسَسُ الْأَمِيرِ فَأَخَذُونِي.

بدأ الخبر بمشهد السجن حيث عرض "الحجاج بن يوسف"سجناءه سائلا إياهم عن جرمهم فأخبره أحدهم بقصته إذ راودته امرأة أخيه عن نفسه فولى هاربا حتى أمسك به الحرس فأطلق صراحه من السجن؟.

فقد كان السجن هو نقطة بداية القصة ونقطة نهايتها كذلك ومن ثم بني الخبر على النسق الدائري.

١- "الحجاج بن يوسف الثقفي الطائفي توفي ،. وكان شجاعاً مقداماً مهيباً داهية فصيحاً مفوهاً بليغاً سفاكاً للدماء. تولى الحجاز سنتين، ثم العراق عشرين سنة ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة خمس وتسعين وله خمس وخمسون سنة . ينظر:العبر ٨٢/١.

٢- "اعتلال القلوب برقم ٤٠٩ (٢٠٠/١).

المبحث الثالث

الفضاء

يتميز الفضاء بوصفه المسرح العام الذي يحوي كل المكونات السردية، فهو أشبه ما يكون بالبيت الذي يضمُ ساكنيهِ ويحتضنهم .

وللفضاء بعنصريه الزمان والمكان أهمية كبيرة فالزمان يمثلُ الأحداث نفسها في حين يمثلُ المكان الخلفية التي تقع عليها تلك الأحداث (١).

وإذا كان الزمان ملتحما بالمكان إلا أن هناك فارقٌ أساسٌ يميز الزمان عن المكان وهو أنّ "خبرة الانسان بالمكان وإدراكه له تختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان ، فبينما يُدرك الزمان إدراكاً غير مباشر من خلال فعله في الأشياء ، فإنّ المكان يُدرك إدراكاً حسياً مباشراً ، ويبدأ بخبرة الانسان لجسده : هذا الجسد هو مكان.

إلى جانب ذلك فإن جوهر الزمان يقوم على الانفصال نظراً لتعاقب لحظاته أما جوهر المكان فهو يقوم على الاتصال لأن وجوده قائمٌ على المسافة والامتداد.

وعلى الرغم من ذلك يبقى عنصرا الزمان والمكان متلازمين ، إذ لا يمكن أنْ نتصور مكاناً يخلو من زمان ، أو زماناً ما يخلُو من مكان فهما كالجسد والروح للكائن الحي.

الزمان

الزمن من الأمور التي شغلت تفكير الإنسان منذ القدم، وحاول تفسيره، لأنه شيء غير مادي وغيرملموس،ولكن الإنسان يشعر به، ويستعمله في تقدير أموره وفي تقييمها،و في قياس حركة حياته وما يتصل بها.

١ــ ينظر : بناء الرواية ص ١٠٢ .

وأهمية الزمن لا تخفى وخير دليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالزمن ومكوناته وأجزائه ،إشعارا منه بقيمته وتنبيها على أهميته،فأقسم ،بالليل،والنهار،والصبح ،والعصر،والضحى وغيرها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ ۝١إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ (١) وقوله: ﴿وَالضُّحَى ۝١وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢﴾ (٢)

والقص هو أكثر الأنواع الأدبية ارتباطاً بالزمن ف" إذا كان الأدب يعتبر فناً زمنياً-إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية-فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن." (٣)

ولابد من التفريق بين زمنين في القصّ هما : زمن القصة وزمن الحكاية(٤)، ويراد بزمن القصة : الزمان الطبيعي الذي تسيرعلى وفقه مجريات الأحداث على ارض الوجود بواقعية . أما زمن الحكاية فهو ذلك الزمان الزائف أو الكاذب الذي يحاول أنْ يقوم مقام الزمان الحقيقي في القصّ(٥)، وفي هذا الزمان يكون التحكم في سير الأحداث بيد الراوي .

ويختلف زمان القصة الواقعي عن زمان الحكاية الزائف في أنْ الأول يسيرعلى وفق تسلسل طبيعي فرضته الطبيعة ابتداءً من الماضي ومروراً بالحاضر ، وصولاً إلى المستقبل ، إذ ليست له القابلية على التحرك بخلاف

١-" سورة العصر،الآية : ١-٢

٢- سورة الضحى،الآية : ١-٢

٣- بناء الرواية ، ص ٢٦

٤ـ ينظر : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) : جيرار جينيت : ترجمة: محمد معتصم وغيره ، الهيأة العامة للمطابع الاميرية ، ط٢ ، ١٩٩٧ : ٤٦ .

٥ـ خطاب الحكاية ،بحث في المنهج ،جيرار جينيت ،ترجمة : محمد معتصم وآخرون ، ص٦٤، المجلس الأعلى للثقافة ،الطبعة الثانية ،القاهرة ، ١٩٩٧.

زمن الحكاية او زمن السرد الذي يتحكم فيه السارد فيستطيع تسييره على وفق رؤاه الخاصة.

ولذا كان من الصعب على السارد أنْ يُطلب منه وهو يسرد أحداث قصّهِ أنْ يجسد الزمان الواقعي كما هو تماماً "وإنما مهمته تتجلى في خلق الإحساس بالمدة الزمنية الروائية والإيهام التام بأنّ ما يعرضه هو الواقع الحقيقي"(١) ، وبناءً على ذلك نلاحظ الاختلاف وعدم التطابق بين هذين الزمنين مما يترتب على ذلك ظهور عدة مستويات زمنية ينبغي الوقوف عندها وهي :

١- الترتيب

٢- المدّة

أولاً : الترتيب

ويقصد بترتيب الزمن " دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مع مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة." (٢)

كما إن التوالي في الحكي قد يبتعد كثيراً أو قليلاً عن المجرى الخطي للسرد، فينتج عن ذلك حركتان زمنيتان وهما مصطلح "الاستذكار" الذي ينطلق من الحاضر و الثاني "الاستشراف" الذي يقفز إلى المستقبل.(٣)

١ــ الزمن في الرواية ص ٤٠.

٢- " خطاب الحكاية ،ص ٤٦.

٣- " ينظر: مدخل إلى نظرية القصة ،ص ٧٦.

١- الاسترجاع (الاستذكار)

ويقصد به عملية الاستذكار أو ذكر حدث ماضٍ في القصة واستذكاره في لحظة حاضره في السرد،أي أن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية،ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثه . (١)

ويقسم الاسترجاع على نمطين هما:

ا- الاسترجاع الخارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية "ماضي بعيد" .

ب- الاسترجاع الداخلي: يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص "ماضي قريب

أ-الاسترجاع الخارجي:

ويقصد به تداعي الماضي البعيد "ما قبل بداية الحدث" ويعتمد الكاتب على الاسترجاع الخارجي بعودته بالأحداث إلى ما قبل بداية الرواية لإيضاح الأحداث وتقديم الشخصيات فضلاً عن ملء مسافة زمنية يساعد الإطلاع عليها على فهم تطور الأحداث وأسبابها ويفيد الكاتب من عملية الاسترجاع في التخلص من ضيق الزمن في الرواية،لأن الاسترجاع يشغل مساحة كبيرة في النص (٢) بينما قد يكون زمن الرواية محدوداً .

وثمة طرق متعددة يتم بها الاسترجاع خارجياً كان أم داخليا ،فهو أما أن يتم بطريقة السرد التقليدي بأن يعود الراوي إلى رواية الأحداث الماضية أو عن طريق حديث الشخصية القصصية نفسها. (٣) ومن نماذج الاسترجاع الخارجي في "اعتلال القلوب"خبر رغبة"عمر بن عبد العزيز"في جارية

١- ينظر: السابق ص :٧٦ .

٢- " ينظر: السابق ، ص : ٧٧.

٣- " ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا:ص ١٠٩,

لزوجته وإيبائها لكن ذلك يتغير بعد توليه الخلافة إذ أهدتها إياه فأبى وردها على صاحبها.

يقول "الخرائطي" (١):

حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَتْ لِفَاطِمَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ زَوْجَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَارِيَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ فَائِقٍ، وَكَانَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعْجَبًا بِهَا قَبْلَ أَنْ تُقْضَى إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ، فَطَلَبَهَا مِنْهَا وَحَرَصَ فَأَبَتْ دَفْعَهَا إِلَيْهِ، وَغَارَتْ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَمَرَتْ فَاطِمَةُ بِالْجَارِيَةِ فَأُصْلِحَتْ ثُمَّ حُلِّيَتْ، فَكَانَتْ حَدِيثًا فِي حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا، ثُمَّ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَى عُمَرَ فَقَالَتْ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ كُنْتَ بِفُلَانَةَ جَارِيَتِي مُعْجَبًا وَسَأَلْتَنِيهَا فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَإِنَّ نَفْسِي قَدْ طَابَتْ لَكَ بِهَا الْيَوْمَ، فَدُونَكَهَا، فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ اسْتَبَانَ الْفَرَحُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ: ابْعَثِي بِهَا إِلَيَّ، فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ أَعْجَبَهُ، فَازْدَادَ بِهَا عَجَبًا، فَقَالَ لَهَا: أَلْقِي ثَوْبَكِ، فَلَمَّا هَمَّتْ أَنْ تَفْعَلَ قَالَ: عَلَى رِسْلِكِ، اقْعُدِي، أَخْبِرِينِي لِمَنْ كُنْتِ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتِ لِفَاطِمَةَ؟ قَالَتْ: كَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ أَغْرَمَ عَامِلًا كَانَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَالًا، وَكُنْتُ فِي رَقِيقِ ذَلِكَ الْعَامِلِ، فَاسْتَصْفَانِي عَنْهُ مَعَ رَقِيقٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ، فَبَعَثَ بِي إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ صَبِيَّةٌ، فَوَهَبَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ. قَالَ: وَمَا فَعَلَ الْعَامِلُ؟ قَالَتْ: هَلَكَ. قَالَ: وَمَا تَرَكَ وَلَدًا؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: وَمَا حَالُهُمْ؟ قَالَتْ: سَيِّئَةٌ. قَالَ: شُدِّي عَلَيْكِ ثَوْبَكِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ عَامِلِهِ أَنْ شَرِّحْ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ عَلَى الْبَرِيدِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ لَهُ: ارْفَعْ إِلَيَّ جَمِيعَ مَا أَغْرَمَ الْحَجَّاجُ إِيَّاكَ. فَلَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ شَيْئًا إِلَّا دَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْجَارِيَةِ فَدُفِعَتْ

١- "اعتلال القلوب برقم ٥٧٣ ٢/٢٨٨.

إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَخَذَ بِيَدِهَا قَالَ: إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا فَإِنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَعَلَّ أَبَاكَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَطِئَهَا. فَقَالَ الْغُلَامُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هِيَ لَكَ. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا. قَالَ: فَابْتَعْهَا مِنِّي. قَالَ: لَسْتُ إِذًا مِمَّنْ يَنْهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَمَضَى بِهَا الْفَتَى، فَقَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ: فَأَيْنَ مَوْجِدَتُكَ بِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لَعَلَى حَالِهَا وَلَقَدِ ازْدَادَتْ، فَلَمْ تَزَلِ الْجَارِيَةُ فِي نَفْسِ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ "

فقد كان الاسترجاع في الخبر على لسان إحدى الشخصيات"فاطمة بنت عبد الملك"بعد تولى زوجها"عمر بن عبد العزيز "الخلافة حين ذكرته بجاريتها التي أرادها فأبت وكذلك في الخبر استرجاع آخر على لسان الجارية حين سألهاالخليفة "عمر"عن كيفية وصولها إلى زوجه "فاطمة "فأخبرته أن مولاها كان عاملا ل"لحجاج بن يوسف"فأغرم فاستصفاها وبعث بها إلى "عبد الملك بن مروان"فوهبها ابنته.

ب- الاسترجاع الداخلي

في هذا النوع يقوم الراوي باسترجاع أحداث وقعت في الماضي القريب من بداية الرواية، وبه يعالج الكاتب الأحداث المتزامنة حيث يستلزم تتابع القص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية أو يعود إلى ماضي الشخصية نفسها التي يتحدث عنها.(١)

ويستعمل الاسترجاع الداخلي لربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة المماثلة لها ولم تذكر في النص الروائي من باب الاقتصاد.(٢) ومن نماذج الاسترجاع الداخلي خبر جارية"محمد بن عبيد الزاهد"التي باعها فندم وأراد أن يستردها فأبى مشتريهاثم ردها إليه .

١" ينظر :بناء الرواية ، ص : ٤١

٢ ينظر:الفضاء الروائي ، ص : ١٠٧

يقول"الخرائطي في كتابه مارواه (١)

حَدَّثَنِي أَخِي قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْهَيْثَمِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الزَّاهِدُ قَالَ: كَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةٌ فَبِعْتُهَا فَتَتَبَّعَتْهَا نَفْسِي ، فَصِرْتُ إِلَى مَوْلَاهَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ إِخْوَانِي ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُقِيلَنِي وَيَرْبَحَ عِشْرِينَ دِينَارًا ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَرُمْتُ فِطْرِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَبِتُّ سَاهِرًا لَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ ، فَخَشِيَ أَنْ أُعَاوِدَهُ فِي غَدٍ فَأَخْرَجَهَا إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا بِي مِنَ الْجَهْدِ كَتَبْتُ اسْمَهَا فِي رَاحَتِي وَاسْتَقْبَلَتُ الْقِبْلَةَ ، فَكُلَّمَا طَرَقَنِي طَارِقٌ مِنْ ذِكْرِهَا رَفَعْتُ يَدَيَّ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي ، هَذِهِ قِصَّتِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي السَّحَرِ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَدُقُّ عَلَيَّ الْبَابَ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا مَوْلَى الْجَارِيَةِ ، فَنَزَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ قَالَ: خُذِ الْجَارِيَةَ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَقُلْتُ: خُذْ دَنَانِيرَكَ وَالرِّبْحَ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِآخُذَ مِنْكَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا. قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ أَتَانِي آتٍ اللَّيْلَةَ فِي مَنَامِي فَقَالَ لِي: رُدَّ الْجَارِيَةَ عَلَى ابْنِ عُبَيْدٍ ، وَلَكَ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةُ

فالاسترجاع في الخبر يعد استرجاعا داخليا حيث وقع في ماضٍ قريب متزامنا مع أحداث الخبر وهو قص مولى الجارية لسبب ردها إلى "محمد بن عبيد الزاهد"حيث أتاه آتٍ يأمره برد الجارية التي امتنع عن ردها رغبة فيها.

١- "اعتلال القلوب برقم ١٠٥ ٥٨/١.

ب- الاستباق

تقفُ تقنية الاستباق أو كما يُعبر عنها بالاستشراف على الضدِّ من تقنية الاسترجاع،ففي الوقت الذي يعود بنا الراوي نحو الماضي في استرجاعه للأحداث، فإنّه ينطلق نحو المستقبل في استباقه لما سيأتي .

والاستباق "عمليةٌ سرديةٌ تتمثل في إيراد حدثٍ آت ، أو الإشارة اليه مسبقاً"(١)

ويتبلور الاستباق في شكلِ حُلمٍ أو نبوءةٍ ، أو افتراضات قد تكون صحيحةً أو غير صحيحة بشأن المستقبل(٢)، أي ان هذه الافتراضات والمعلومات المقدمة مسبقاً لا تتسمُ باليقينة وهذه – لعلها – أبرز خصيصةٍ للسرد الاستباقي(٣)

ومن أشكال الاستباق في "اعتلال القلوب"

١- استباق يأتي على شكل (حُلم) أو (رؤيا منامية) تَعْرضُ لإحدى الشخصيات ، ومن شواهد ذلك خبر تدور أحداثه حول فتىٍ هوى جارية فحال أهلها دونه فأضناها العشق حتى ماتت ورأى الفتى في منامه أنه اجتمع بها في الجنة فلحق بها بعد بضعة أيام.

يقول"الخرائطي" (٤):

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ عَنِ ابْنِ أَبِي كَامِلٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ عَمْرٍو النَّخَعِيِّ قَالَ: " كَانَ بِالْكُوفَةِ فَتًى جَمِيلَ

١ــ مدخل الى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً ص ٧٦ .

٢- ينظر : نظرية المنهج الشكلي ص ١٧٩ – ١٨٠ .

٣ــ ينظر : بنية الشكل الروائي ص١٣٢ .

٤- "اعتلال القلوب برقم ٢٩٨/٥٩٤٢.

الْوَجْهِ شَدِيدَ الِاجْتِهَادِ، وَكَانَ أَحَدَ الزُّهَّادِ فَنَزَلَ فِي جِوَارِ قَوْمٍ مِنَ النَّخَعِ، فَنَظَرَ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْهُنَّ جَمِيلَةٍ فَهَوِيَهَا، وَهَامَ بِهِ عَقْلُهُ، وَنَزَلَ بِهَا مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، فَأَرْسَلَ يَخْطُبُهَا مِنْ أَبِيهَا، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهَا أَنَّهَا مُسَمَّاةٌ لِابْنِ عَمٍّ لَهَا، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا مَا يُقَاسِيَانِ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةُ: قَدْ بَلَغَنِي شِدَّةُ مَحَبَّتِكَ لِي، وَقَدِ اشْتَدَّ بَلَائِي بِكَ لِذَلِكَ مَعَ وَجْدِي بِكَ، فَإِنْ شِئْتَ زُرْتُكَ، وَإِنْ شِئْتَ تَسَهَّلْتُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: وَلَا وَاحِدَةٌ مِنْ هَاتَيْنِ الْخَلَّتَيْنِ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، أَخَافُ نَارًا لَا يَخْبُو سَعِيرُهَا، وَلَا يَخْمُدُ لَهِيبُهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ إِلَيْهَا فَأَبْلَغَهَا مَا قَالَ قَالَتْ: وَأُرَاهُ مَعَ هَذَا زَاهِدًا يَخَافُ اللَّهَ، وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ أَحَدٍ، وَإِنَّ الْعِبَادِ فِيهِ لَمُشْتَرِكُونَ، ثُمَّ انْخَلَعَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَلْقَتْ عَلَائِقَهَا خَلْفَ ظَهْرِهَا، وَلَبِسَتِ الْمُسُوحَ، وَجَعَلَتْ تَتَعَبَّدُ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَذُوبُ وَتَنْحَلُ حُبًّا لِلْفَتَى وَأَسَفًا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ شَوْقًا إِلَيْهِ فَدُفِنَتْ، فَكَانَ الْفَتَى يَأْتِي قَبْرَهَا فَيَبْكِي عِنْدَهَا، وَيَدْعُو لَهَا، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قَبْرِهَا فَرَآهَا فِي مَنَامِهِ وَكَأَنَّهَا فِي أَحْسَنِ مَنْظَرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ، وَمَا لَقِيتِ بَعْدِي؟ فَقَالَتْ: نِعْمَ الْمَحَبَّةُ يَا حَبِيبِي، أُحِبُّكَ حُبًّا يَقُودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ، فَقَالَ: عَلَى ذَلِكَ إِلَامَ صِرْتِ؟ فَقَالَتْ: إِلَى نَعِيمٍ وَعَيْشٍ لَا زَوَالَ لَهُ، فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، مُلْكٌ لَيْسَ بِالْفَانِي، فَقَالَ لَهَا: اذْكُرِينِي هُنَاكَ، فَإِنِّي لَسْتُ أَنْسَاكِ، فَقَالَتْ: وَلَا أَنَا وَاللَّهِ أَنْسَاكَ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ قُرْبَكَ مَوْلَايَ وَمَوْلَاكَ، فَأَعِنِّي عَلَى ذَلِكَ بِالِاجْتِهَادِ، ثُمَّ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، فَقَالَ لَهَا: مَتَى أَرَاكِ؟ قَالَتْ: سَتَأْتِينَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَرَانَا، فَلَمْ يَعِشِ الْفَتَى بَعْدَ الرُّؤْيَا إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى مَاتَ "

فقد تبلور الاستباق في تلك الرؤية المنامية التي رأى فيها الفتى حبيبته وكأنها في دار الخلد تحضه على الاجتهاد ليلحق بها فيلتقيا هناك.

ــ استباق يأتي على شكل (فَراسة) تصدرُ من شخصية ما ، متوقعة حدوث أمر مستقبلي ما ، ومن ذلك ما يورده "الخرائطي"في فَراسة "عمر بن الخطاب"حين يروي في كتابه"اعتلال القلوب"خبر نفيه"نصر بن حجاج"خارج المدينة الذي فتن زوج أمير البصرة فيما بعد.

يقول"الخرائطي"(١):

حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، وكَانَ عَلَى سَاقِ غَنَائِمِ خَيْبَرَ حَتَّى افْتَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ امْرَأَةً وَهِيَ تَهْتِفُ فِي خِدْرِهَا وتَقُولُ:[البحر البسيط]

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا ... أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

إِلَى فَتًى مَاجِدِ الْأَعْرَافِ مُقْتَبِلٍ ... سَهْلِ الْمُحَيَّا كَرِيمٍ غَيْرِ مِلْجَاجِ

نَمَتْهُ أَعْرَافُ صِدْقٍ حِينَ يَنْسِبُهُ ... أَخِي حِفَاظٍ عَنِ الْمَكْرُوهِ فَرَّاجِ

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَرَى مَعِي النَّصْرَ ، رَجُلًا تَهْتِفُ بِهِ الْعَوَاتِقُ فِي خُدُورِهَا ، عَلَيَّ بِنَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ. فَأُتِيَ بِهِ فَإِذَا هُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَعَيْنًا وَشَعْرًا ، فَأَمَرَ بِشَعْرِهِ فَجُنَّ ، فَخَرَجَتْ لَهُ جَبْهَةٌ كَأَنَّهَا شِقَّةُ قَمَرٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمَّ فَاعْتَمَّ فَافْتُتِنَ النِّسَاءُ بِعَيْنَيْهِ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَا تُجَامِعْنِي بِبِلَادٍ أَنَا بِهَا. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ولِمَ؟ قَالَ: هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ. فَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَخَشِيَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي سَمِعَ مِنْهَا عُمَرُ أَنْ يَبْدُرَ مِنْ عُمَرَ إِلَيْهَا شَيْءٌ ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ أَبْيَاتًا:

١- "اعتلال القلوب برقم ٨٢٦ ٣٩٢/٢.

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... مَالِي وَلِلْخَمْرِ أَوْ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ
إِنِّي مُنِيتُ أَبَا حَفْصٍ بِغَيْرِهِمَا ... شُرْبِ الْحَلِيبِ وَطَرْفٍ فَاتِرٍ سَاجِ
إِنَّ الْهَوَى ذِمَّةُ التَّقْوَى فَخَيَّسَهُ ... حَتَّى أَقَرَّ بِإِلْجَامٍ وَإِسْرَاجِ
لَا تَجْعَلِ الظَّنَّ حَقًّا أَوْ تَيَقَّنْهُ ... إِنَّ السَّبِيلَ سَبِيلَ الْخَائِفِ الرَّاجِي

قَالَ: فَبَكَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ اللَّهِ الَّذِي خَيَّسَ التَّقْوَى الْهَوَى.

قَالَ: وَأَتَى عَلَى نَصْرٍ حِينٌ وَاشْتَدَّ عَلَى أُمِّهِ غِيبَةُ ابْنِهَا عَنْهَا ، فَتَعَرَّضَتْ لَعُمَرَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَقَعَدَتْ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا خَرَجَ يُرِيدُ صَلَاةَ الْعَصْرِ قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينِ ، لَأُجَانِيكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ لَأُخَاصِمَنَّكَ ، أَيَبِيتُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَاصِمٌ إِلَى جَنْبِكَ وَبَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِيَ الْفَيَافِي وَالْمَفَاوِزُ وَالْجِبَالُ. فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ نَصْرٍ ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَعَاصِمًا لَمْ تَهْتِفْ بِهِمَا الْعَوَاتِقُ فِي خُدُورِهِنَّ. قَالَ: فَانْصَرَفَتْ وَمَضَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: فَأَبْرَدَ عُمَرُ بَرِيدًا إِلَى الْبَصْرَةِ قَالَ: فَمَكَثَ بِالْبَصْرَةِ أَيَّامًا ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَكْتُبْ ، فَإِنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ خَارِجٌ. قَالَ: فَكَتَبَ النَّاسُ وَكَتَبَ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ: سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ:

[البحر الطويل]

لَعَمْرِي لَإِنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي ... فَمَا نِلْتَ مِنْ عِرْضِي عَلَيْكَ حَرَامُ
أَإِنْ غَنَّتِ الدَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ ... وَبَعْضُ أَمَانِيِّ النِّسَاءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِيَ السُّوءَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ ... بَقَاءٌ فَمَا لِيَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَقُولُ تَكَرُّمِي ... وَآبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامُ
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا ... وَحَالٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامُ
فَهَاتَانِ حَالَانَا ، فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي ... فَقَدْ جُبَّ مِنَّا غَارِبٌ وَشِمَامُ

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا وَلِيُّ إِمَارَةٍ فَلَا. وَأَقْطَعَهُ مَالًا بِالْبَصْرَةِ وَدَارًا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: " مَا كَانَ أَنْظَرَهُ بِنُورِ اللَّهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَأَفْرَسَهُ، كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: [البحر الطويل]

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ ... كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ

وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ: [البحر السريع]

تَزِيدُهُ الْأَيَّامُ إِنْ سَاعَفَتْ ... شِدَّةُ حَزْمٍ بِتَصَارِيفِهَا

كَأَنَّهَا فِي حَالِ إِسْعَافِهَا ... تُسْمِعُهُ ضَجَّةَ تَخْوِيفِهَا

وَفِي مِثْلِهِ: [البحر الطويل]

يَرَى عَزَمَاتِ الرَّأْيِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... تُلَاحِظُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وَذَلِكَ أَنَّ نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ لَمَّا نَفَاهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ السُّلَمِيِّ ، وَكَانَ بِهِ مُعْجَبًا ، وَكَانَتْ لِمُجَاشِعٍ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا الْخُضَيْرَاءُ ، فَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَانَ لِشَغَفِهِ بِهِمَا يَجْمَعُهُمَا فِي مَجْلِسِهِ ، فَحَانَتْ مِنْ مُجَاشِعٍ الْتِفَاتَةٌ وَنَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ يَخُطُّ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا ، فَقَالَتِ الْخُضَيْرَاءُ: وَأَنَا؟ فَعَلِمَ مُجَاشِعٌ أَنَّهُ جَوَابُ كَلَامٍ ، وَكَانَ مُجَاشِعٌ لَا يَقْرَأُ ، وَكَانَتِ الْخُضَيْرَاءُ تَقْرَأُ ، وَانْصَرَفَ نَصْرٌ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَدَعَا مُجَاشِعٌ كَاتِبًا فَقَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ: إِنِّي لَأُحِبُّكِ حُبًّا لَوْ كَانَ فَوْقَكِ لَأَظَلَّكِ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَكِ لَأَقَلَّكِ. وَبَلَغَ نَصْرًا مَا فَعَلَ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ السُّلَمِيُّ فَاسْتَحْيَا لِذَلِكَ ، وَاشْتَدَّ وَجْدُهُ ، وَظَهَرَ دَنَفُهُ ، وَعَظُمَتْ بَلِيَّتُهُ ، وَجَلَّتْ رَزِيَّتُهُ ، وَالْتَحَفَ عَلَيْهِ الضَّنَا ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْغِذَاءِ حَتَّى شَارَفَ الْفَنَاءَ.

فقد نفى"عمر بن الخطاب"-رضي الله عنه-"نصر بن حجاج"خارج المدينة وكان ذلك النفي نابعا من فراسته حيث رأى فيه فتنة للمسلمات وقد وقع ذلك فيما بعد كما جاء في الخبر.

٣-استباق يأتي على شكل نبوئه

إذ تتنبأ إحدى الشخصيات بحدث سيقع في المستقبل ومن شواهده في "اعتلال القلوب"رواية "الخرائطي" خبر الرجل الذي توقع زواج امرأته بعد موته وانشغالها عن وليدها.

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَّازُ الْكُوفِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: " احْتُضِرَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُمُّ الصَّبِيِّ عَنْ رَأْسِهِ جَالِسَةٌ، وَاسْمُ الصَّبِيِّ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: [البحر الطويل]

وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ وَتُنْكَحِي ... وَيُعْرَفُ فِي أَيْدِي الْمَرَاضِيعِ مُحَمَّدُ

وَتُرْضَى سُتُورٌ دُونَهُ وَقَلَائِدُ ... وَيَشْغَلُكُمْ عَنْهُ خَلُوقٌ وَمُجْمَدُ

قَالَ: فَمَا لَبِثَ أَنْ مَاتَ فَتَزَوَّجَتْ وَصَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى مَا ذَكَرَ "

فقد تنبأ الرجل بزواج زوجه بعد وفاته وتلهيها عنه بزوجها وتركه للمراضع وقد حدث ذلك بالفعل.

وعلى كل حال وباختلاف أشكال الاستباق فهو يتميز بقلةِ انتشاره وتواجده في القصِّ إذا ما وزن بالاسترجاع ، لكن هذا لا يعني أنّه أقلّ أهمية منه.

ثانيا:المدة

لا يستطيع السارد في سرده عرض الزمن بمدته الحقيقية إذ يتصف زمن الحكاية بالمرونة تسريعا لبعض الفترات الزمنية وإبطاءا لأخرى وفق رؤيته.

١- "اعتلال القلوب برقم ٤٤٢ ٢٢٨/١.

* تسريع السرد :

ويتم ذلك بوساطة حركتين سرديتن زمنيتين هما :

الأولى / الخلاصة

ترتبط الخلاصة بما مضى من أحداث بغية تسريع السرد لعرض تاريخ الشخصية. ذلك أن الكاتب يجد من اللازم إضاءة الجوانب المظلمة في ماضي السرد ، وبذلك يختزل سنين طويلة ، أو شهوراً عِدّة ، وفي أقل الإحتمالات أياماً ، كل ذلك في سطور قليلة .

ومن شواهد الخلاصة كتقنية فاعلة في تسريع السرد ما رواه"الخرائطي في كتابه "اعتلال القلوب"عن خبر زواج"فاطمة بنت الحسين"ب"عبد الله بن عمر"بعد وفاة "الحسن بن علي بن الحسن بن علي".

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْحُسَيْنِ اللَّهَبِيُّ قَالَ: " كَانَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ تَحْتَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لَهَا: إِنَّكِ مَرْغُوبٌ فِيكِ، مُتَشَرَّفٌ بِكِ، لَا تُتْرَكِينَ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ فِي قَلْبِكِ حَسْرَةً سِوَاكِ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَنْتَهِي إِلَى مَا أَمَرْتَ بِهِ، فَقَالَ: كَأَنِّي بِكِ لَوْ قُدِّمْتُ فَأُخْرِجَتْ جَنَازَتِي قَدْ جَاءَكِ عَلَى فَرَسٍ ذَنُوبٍ لَابِسًا حُلَّتَهُ، يَسِيرُ فِي جَانِبِ النَّاسِ مُتَعَرِّضًا لَكِ. وَلَسْتُ أَدَعُ مِنَ الدُّنْيَا هَمًّا غَيْرَكِ. فَلَمْ يَدَعْهَا حَتَّى تَوَثَّقَ مِنْهَا بِالْأَيْمَانِ فِي ذَلِكَ، وَمَاتَ الْحَسَنُ وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ، فَوَافَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَقَدْ كَانَ يَجِدُ بِفَاطِمَةَ وَجْدًا شَدِيدًا، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا وَنَظَرَ إِلَى فَاطِمَةَ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ تَلْطِمُ وَجْهَهَا عَلَى الْحَسَنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَعَ جَارِيَتِهِ أَنَّ لَنَا فِي وَجْهِكِ فَارْفُقِي بِهِ. قَالَ:

١- "اعتلال القلوب برقم ٤٤٠ ٢٢٦/١.

فَخَمَّرَتْ وَجْهَهَا وَأَرْسَلَتْ يَدَهَا حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَهَا، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا فَقَالَتْ: كَيْفَ أَعْمَلُ بِأَيْمَانِي؟ فَقَالَ: لَكِ بِكُلِّ مَالٍ مَالَانِ، وَبِكُلِّ مَمْلُوكٍ مَمْلُوكَانِ، فَوَفَّى لَهَا، فَتَزَوَّجَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا.

فقد لخص السارد في أسطر قصة زواج""فاطمة بنت الحسين""بعد وفاة زوجها بإيجاز معتمدا على الخلاصة كتقنية سردية مكنته من تجاوز مدد زمنية طويلة وقعت فيها أحداث متسارعة للشخصية الرئيسة من زواج ووفاة وحزن فزواج وولادة.

الثانية / الحذف

وهي تقنية من تقنيات السرد تتيح للروائي إختزال مدد زمنية طويلة أو قصيرة من زمن السرد ، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث١. وزيادة على الوظيفة الأساسية لتقنية الحذف في تسريع الأحداث ، فهي تمكن المؤلف من التخلص من السرد النمطي ، والأحداث التقليدية المملة والانتقال من حدث مهم إلى آخر قافزاً حاجز الزمن .

وينقسم الحذف إلى

١- الحذف المحدد " أو المعلن

وهو الحذف الذي يصرح فيه الراوي بطول المدة المحذوفة .ومن نماذج الحذف المحدد كتقنية فنية لها دور فاعل في تسريع السرد ما رواه"الخرائطي"عن خبر هجر "المتوكل"جاريته "محبوبة"وعزلها في غرفتها. يقول"الخرائطي":(٢)

١- ينظر: بنية الشكل الروائي ص١٥٦ حسن بحراوي ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

٢- "اعتلال القلوب برقم ٤٢٠ ١/٢٠٥.

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: " لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَهْدَى إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ جَوَارٍ، وَكَانَتْ فِيهِنَّ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا: مَحْبُوبَةُ، وَكَانَتْ قَدْ نَشَأَتْ بِالطَّائِفِ، وَكَانَ لَهَا مَوْلًى مُغْرًى بِالْأَدَبِ، فَكَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ عَنْهُ وَرَوَتِ الْأَشْعَارَ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ مُعْجَبًا فَغَضِبَ عَلَيْهَا، وَمَنَعَ جَوَارِي قَصْرِ مِنْ كَلَامِهَا، فَكَانَتْ فِي حُجْرَتِهَا لَا يُكَلِّمُهَا أَحَدٌ أَيَّامًا فَرَأَتْهُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّهُ قَدْ صَالَحَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشَعَرْتَ أَنِّي رَأَيْتُ مَحْبُوبَةَ فِي مَنَامِي قَدْ صَالَحَتْهَا وَصَالَحَتْنِي. فَقُلْتُ: خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذًا يُقِرُّ اللَّهُ عَيْنَكَ وَيَسُرُّكَ، فَوَاللَّهِ، إِنَّا لَفِيمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ حَدِيثِهَا إِذْ جَاءَتْ وَصِيفَةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي، سَمِعْتُ صَوْتَ عُودٍ مِنْ حُجْرَةِ مَحْبُوبَةَ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: قُمْ بِنَا يَا عَلِيُّ نَنْظُرْ مَا هَذَا الْأَمْرُ، فَنَهَضْنَا حَتَّى أَتَيْنَا حُجْرَتَهَا فَإِذَا هِيَ تَضْرِبُ بِالْعُودِ وَتَقُولُ:[البحر المنسرح]

أَدُورُ فِي الْقَصْرِ لَا أَرَى أَحَدًا ... أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُكَلِّمُنِي
حَتَّى كَأَنِّي أَتَيْتُ مَعْصِيَةً ... لَيْسَتْ لَهَا تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِي
فَهَلْ شَفِيعٌ لَنَا إِلَى مَلِكٍ ... قَدْ زَارَنِي فِي الْكَرَى فَصَالَحَنِي
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ لَاحَ لَنَا ... عَادَ إِلَى هَجْرِهِ فَصَارَمَنِي

قَالَ: فَصَاحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِحْتُ مَعَهُ، فَسَمِعَتْ فَتَلَقَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَى رِجْلِهِ تُقَبِّلُهَا، فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي، رَأَيْتُكَ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ كَأَنَّكَ قَدْ صَالَحْتَنِي قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ رَأَيْتُكِ، فَرَدَّهَا إِلَى مَرْتَبَتِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَتْ.

فلم يسرد لنا "الخرائطي"أحداث أيام الهجر بين"المتوكل"وجاريته سوى أنها أمضت تلك الأيام في حجرتها لايكلمها أحد تسريعا للسردواجتيازا لمدة زمنية محددة رأى أن في ذكر تفاصيلها ما لا يفيد المتلقي.

٢- حذف غير محدد

٣- أو ضمني

وهو الحذف الذي لا يعلن فيه الراوي صراحة عن طول المدة الزمنية المحددة .ومن نماذجه في "اعتلال القلوب"ما روى "الخرائطي"من خبر رجل باع جاريته ثم ندم على ذلك فأراد أن يتراجع ففعل لكن "ابن طاهر "سمع بما كانت عليه من أدب وجمال فاشتراها.

يقول"الخرائطي" (١):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ بِالْكُوفَةِ يُدْعَى لَيْثَ بْنَ زِيَادٍ قَدْ رَبَّى جَارِيَةً وَأَدَّبَهَا فَخَرَجَتْ بَارِعَةً فِي كُلِّ فَنٍّ مَعَ كَمَالِ الْجَمَالِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهَا مُدَّةً حَتَّى تَبَيَّنَتْ مِنْهُ الِاخْتِلَالَ ، فَقَالَتْ: يَا مَوْلَايَ ، لَوْ بِعْتَنِي كَانَ أَصْلَحَ لَكَ مِمَّا أَرَاكَ بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَظُنُّ أَنَّى أَصْبِرُ عَنْكَ ، فَقَصَدَ رَجُلًا مِنَ النُّهَيْكِيِّينَ يَعْرِفُهَا وَيَعْرِفُ فَضْلَهَا فَبَاعَهَا مِنْهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا قَبَضَ الْمَالَ وَجَّهَ بِهَا إِلَى مَوْلَاهَا النُّهَيْكِيِّ وَجَزِعَ عَلَيْهَا جَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا صَارَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى النُّهَيْكِيِّ نَزَلَ بِهَا الْوَحْشَةُ لِمَوْلَاهَا مَا لَمْ تَسْتَطِعْ دَفْعَهُ وَلَا كِتْمَانَهُ، فَبَاحَتْ بِهِ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:[البحر الطويل]

أَتَانِي الْبَلَا حَقًّا فَمَا أَنَا صَانِعُ ... أَمُصْطَبِرٌ لِلْبَيْنِ أَمْ أَنَا جَازِعُ
كَفَى حُزْنًا أَنَّى عَلَى مِثْلِ جَمْرَةٍ ... أُقَاسِي نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَلْبُ نَازِعُ
فَإِنْ تَمْنَعُونِي أَنْ أَمُوتَ بِحُبِّهِ ... فَإِنِّي قَتِيلٌ وَالْعُيُونُ دَوَامِعُ
فَبَلَغَ النُّهَيْكِيَّ شِعْرُهَا فَدَعَا بِهَا فَأَرَادَهَا فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي ، إِنَّكَ لَا تَنْتَفِعُ بِي قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لِمَا بِي قَالَ: وَمَا بِكِ ، صِفِيهِ لِي قَالَتْ: أَجِدُ فِي أَحْشَائِي نِيرَانًا تَتَوَقَّدُ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى إِطْفَائِهَا أَحَدٌ ، فَلَا تَسَلْ عَمَّا وَرَاءَ

١- "اعتلال القلوب برقم ٥٣٢ ٢/ب٢٦٥.

ذَلِكَ ، فَرَحِمَهَا وَرَقَّ لَهَا ، وَبَعَثَ إِلَى مَوْلَاهَا ، فَسَأَلَ عَنْ خَبَرِهِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ مِثْلَ الَّذِي عِنْدَهَا فَأَحْضَرَهُ ، فَرَدَّ الْجَارِيَةَ عَلَيْهِ ، وَوَهَبَ لَهُ مِنْ ثَمَنِهَا خَمْسِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَبَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ خَبَرُهَا وَهُوَ بِخُرَاسَانَ فَكَتَبَ إِلَى أَبِي السَّوْدَاءِ خَلِيفَتِهِ بِالْكُوفَةِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي ذُكِرَ لِي مِنْ قِبَلِ الْجَارِيَةِ أَنْ يَشْتَرِيَهَا لَهُ بِمَا مَلَكَتْهُ يَمِينُهُ ، فَرَكِبَ أَبُو السَّوْدَاءِ إِلَى مَوْلَى الْجَارِيَةِ فَخَبَّرَهُ بِمَا كَتَبَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ فَلَمْ يَجِدْ لَيْثٌ بُدًّا مِنْ عَرْضِهَا عَلَيْهِ وَهُوَ لِذَلِكَ كَارِهٌ ، فَأَرَادَ أَبُو السَّوْدَاءِ يَعْلَمُ مَا عِنْدَ الْجَارِيَةِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:[البحر البسيط]

بَدِيعُ صَدٍّ قَرِيبُ هَجْرٍ ... جَعَلْتُهُ مِنْهُ لِي مَلَاذَا

فَأَجَابَتْهُ الْجَارِيَةُ:

فَعَاتَبُوهُ فَزَادَ شَوْقًا ... فَمَاتَ عِشْقًا فَكَانَ مَاذَا

فَعَلِمَ أَبُو السَّوْدَاءِ أَنَّهَا تَصْلُحُ ، فَاشْتَرَاهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَخَرَجَ بِهَا وَحَمَلَهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ اخْتَبَرَهَا فَوَجَدَهَا عَلَى مَا أَرَادَ فَغَلَبَتْ عَلَى عَقْلِهِ .

فالحذف الضمني في الخبر يتمثل في المدة التي مكثتها الجارية عند "ليث بن زياد"إيذانا أن تلك المدة أيا كانت فهي قصيرة لا تشفي غلته.

* إبطاء السرد :

ونعني به تهدئة الحركة السردية وإبطاء سرعتها بوساطة حركتين سرديتين هما الحوار والوصف .

الحركة الأولى / الحوار

وهو "تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر" (١)من الشخصيات القصصية ، في غياب لصوت الراوي وهو تقنية فاعلة في إبطاء السرد.

وللحوار كتقنية سردية وظائف متعددة كبعث الحيوية في النص ونفي الرتابة عنه بالإضافة إلى دوره في التعرف على الشخصيات وسبر أغوارها "فإن له أهمية كبرى في الإيهام بالآنية في زمن السرد الحاضر" (٢)على اختلاف أنواعه إذ يتنوع إلى خارجي وداخلي

١/ الحوار الخارجي :

ونعني به "أنّ المتكلم يتكلمُ مباشرةً إلى مُتلقٍ مباشر ويتبادلان الكلام بينهما دون تدخل الراوي" (٣)، وقد حفل كتاب "اعتلال القلوب"بكثير من هذه الحوارات ، التي يقوم فيها متكلمٌ مباشر بتوجيه حواره إلى متلقٍ مباشر لتجري بينهما عملية التحاور. ومن ذلك مروية "الخرائطي" عن موقف "جعفر بن سليمان الضبعي"(٤)من ذلك الأعرابي العاشق اللائذ بالكعبة إذ رأى أن الأعرابي خاسرا لحديثه عن العشق والعشاق في هذه البقعة المطهرة على حين رأى الأعرابي أن الخسران من نصيب محاوره الذي يتسلى في نفس تلك البقعة بتدوين بلايا العاشقين وانشغاله عن العبادة .

يقول"الخرائطي" (٥):

١- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، ص ٧٨،مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٤٧م.

٢- الزمن في الرواية العربية ص ٤٦ .

٣- تحليل الخطاب الروائي ص ١٩٧ .

٤- "من علماء البصر وفيها تشيع وتوفي سنة سبع وسبعين ومئة.ينظر:العبر ٢٠٩/١.

٥- "اعتلال القلوب برقم ٦٠٤ ٣٠١/٢.

سمعْتُ الْمُبَرِّدَ يَقُولُ: يُرْوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيِّ قَالَ كُنْتُ لَا أَكَادُ أَمُرُّ فِي طَرِيقٍ إِلَّا ومَعِي الْأَلْوَاحُ فَحَجَجْتُ ، فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُومُ حَتَّى قَامَ بِحِذَاءِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ: تَفَهَّمُوا عَنِّي تَحْفَظُوا مَقَالَتِي ، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ يُنْشِدُ: [البحر الوافر]

أَلَا مَا بَالُ عَيْنِي قَدْ عَصَتْنِي ... وَقَلْبِي قَدْ أَبَى إِلَّا الْحَنِينَا
وَنَفْسِي مَا تَزَالُ الدَّهْرَ تَصْبُو ... كَأَنَّ بِهَا لِمَا تَلْقَى جُنُونَا
أُحِبُّ الْغَانِيَاتِ وَلَيْسَ قَلْبِي ... بِسَالٍ مَا بَقِيتُ وَمَا بَقِينَا
وَجَمْلَ ما علِمْتُ قَرِينَ سُوءٍ ... تُمَنِّينَا وَتُمْطِلُنَا الدُّيُونَا

فَرَآنِي وَأَنَا كَسْلَانُ ، فَقَالَ: هَذَا الْخُسْرَانُ مُبِينٌ ، أَتَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ؟ فَقُلْتُ: لَا ، بَلِ الْخُسْرَانُ مَا أَنْتَ فِيهِ ، فَقَالَ: أَنَا مَعْذُورٌ ، أَنَا مَسْلُوبُ الْعَقْلِ ، جِئْتُ مُسْتَجِيرًا بِرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ لِمَا أَجِدُ بِقَلْبِي ، وَأَنْتَ مَسْلُوبُ الدِّينِ ، تَكْتُبُ بَلَايَا الْعَاشِقِينَ مُؤْثِرًا لَهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لَا قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَكَ.

يوظف الراوي الحوار بين شخصيات الخبر معتمداً فيه صيغة الفعل (قال)، محاولاً أنْ يرسم لنا من خلال هذا التحاور مشهداً يعكس أفعال الشخصيات وكأنّها تتحرك أمامنا تتجاذب أطراف الحديث ، ليبتعد الخبر عن السرد الصرف ويقترب من مسرحة الأحداث ، اذ يختفي صوت الراوي وتتقدم شخصيات الخبر لتتحاور فيما بينها

٢/ الحوار الداخلي :

هو حديث الشخصية إلى نفسها ويستطيع الراوي بوساطته تعليق الزمان وتعويمه ومنح الفرصة أمام القارئ للغوص في دواخل الشخصيات

ومعرفتها عن كثب ، فضلاً عن الانتقال من خارج النص إلى داخله(١)، معبراً من خلاله عن خصوصيات الشخصية و "أكثر مقاصدها صميمية وأقربها إلى اللاشعور" (٢)، ومن الحوارات الداخلية في أخبار"اعتلال القلوب"ما روى "الخرائطي"عن خبر المرأة المفتتنة ب"بعمرو الدوسي"التي غدرت بزوجها فلم يجزها "عمرو"سوى القتل ثأرا لزوجها ؟.

يقول"الخرائطي"(٣):

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ هِشَامٍ الْكَلْبِيُّ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ حُمَمَةَ الدَّوْسِيَّ: " أَتَى مَكَّةَ حَاجًّا، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ الْعَرَبِ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي أَوَجْهُهُ أَجْسَرُ، أَمْ جُمَّتُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ جُمَّةٌ إِذَا وَرَدَ مَايَلَهَا ثُمَّ عَقَصَهَا، فَإِذَا جَلَسَ مَعَ أَصْحَابِهِ نَشَرَهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: أَيْنَ مَنْزِلُكَ؟ قَالَ: نَجْدٌ، فَقَالَتْ: مَا أَنْتَ بِنَجْدِيٍّ، وَلَا تِهَامِيٍّ، فَاصْدُقْنِي، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السُّرَاةِ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهَا أَنِ ارْتَدِي خَلْفِي، فَفَعَلَتْ، فَمَضَى بِهَا إِلَى السُّرَاةِ، وَتَبِعَهَا زَوْجُهَا فَلَمْ يَلْحَقْهَا فَرَجَعَ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ قَطَعَ عُرُوقَهَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَتَبَّعِينَ بَعْدِي رَجُلًا أَبَدًا، ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى زَوْجِهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ "

فحديث المرأة نفسها وحوارها الداخلي عن سر جمال"عمرو الدوسي"كشف عن طبيعتها الشهوانية المفتتنة بالرجال مما أودى بها إلى الهلاك تلقاء غدرها.

١- ينظر : الزمن في الرواية العربية ص ٤٦ .

٢- عالم الرواية ص١٦٣،.

٣- "اعتلال القلوب برقم ١٩٣ ١٠٠/١.

الجمة من شعر الرأس :ما وصل المنكبين.ينظر: لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، المتوفى ٧١١ ه، ١٠٧/١٢ دار صادر ، بيروت ١٩٦٤م.

الحركة الثانية / الوصف

يعد الوصف حركة زمنية تهدف إلى إبطاء الزمن يسعى الراوي لتوظيفها داخل السرد تحقيقاً لعدّة وظائف من شأنها أنْ تخدم النصّ وتنمّي أحداثه ، منها ما يحققه الوصف من خدمة تفسيرية توضيحية للقصّ إلى جانب وظيفتهِ التزيينية للنصوص مسهماً من خلال ذلك في إيهام القارئ بواقعية الأحداث(١) ومن ثم يعمل على إبطاء السرد بل توقفه.

وقد تعددت الأوصاف الواردة في أخبار "اعتلال القلوب"بين وصف للشخصيات ووصف للأماكن

وصف الشخصيات :

عمد "الخرائطي"في الكثير من أخباره إلى أنْ يقفَ عند وصف الشخصيات رئيسة كانت أم ثانوية ، بألوان متعددة من الأوصاف ، فتارةً يصفها لنا من الجانب الجسدي المادي وتارة أخرى يصفها بوصف معنوي.

فمن الأوصاف الجسدية التي رسمت صورة كلامية للمظهر الخارجي للشخصية في محاولة لإبطاء السرد ما رواه عن خبر المرأة البغية التي افتتن بها قاضي "قندابيل وكرمان"(٢)"سعيد بن سلم"حتى وقعا في الفاحشة فبلغ خبره "الحجاج"فعزله.

١- ينظر : بناء الرواية ، ص٨٣ .

٢- "قندابيل:مدينة بالسند.ينظر:معجم البلدان :شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٥٦٢٦)، ٤٠٢/٤، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م،كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان.ينظر:معجم البلدان ٤٥٤/٤.

قال "الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: " اسْتَعْمَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ سَعِيدَ بْنَ سَلْمٍ عَلَى قَضَاءِ قَنْدَابِيلَ وَكَرْمَانَ فَقَدِمَهَا، وَكَانَ بِكَرْمَانَ عِلْجَةٌ يُقَالُ لَهَا: أَرْذَلُ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، وَكَانَتْ بَغِيَّةً يَبِيتُ عِنْدَهَا الرَّجُلُ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ، فَبَلَغَ سَعِيدًا خَبَرُهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجِيءَ بِهَا، وَكَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ بِقَتِيلِ الْعَنْزِ، فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ، أَفَتَنْتِ فَتَيَانَ الْبَلَدِ وَأَفْسَدْتِهِمْ؟ ثُمَّ قَالَ: اكْشِفِي عَنْ رَأْسِكِ، فَكَشَفَتْ عَنْ شَعَرٍ حَسَنٍ جَثْلٍ، يَضْرِبُ إِلَى عَجِيزَتِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَلْقِي دِرْعَكِ، فَأَلْقَتْهُ، وَقَامَتْ عُرْيَانَةً فِي إِزَارٍ فَرَأَى مَا حَيَّرَهُ وَذَهَبَ بِعَقْلِهِ، فَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ ، فَإِذَا عُكَنٌ وَطِيدٌ وَثَدْيٌ صَغِيرٌ قَائِمٌ وَمَنَاكِبُ عَالِيَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ، أَدْبِرِي، فَأَدْبَرَتْ، فَنَظَرَ إِلَى ظَهْرٍ فِيهِ كَالْجَدْوَلِ، وَبَكَفَلٍ كَأَرِيكَةِ خَزٍّ حَشْوُهَا قَزٌّ، ثُمَّ قَالَ: أَقْبِلِي، فَأَقْبَلَتْ بِصَدْرٍ نَقِيٍّ، وَبَطْنٍ مُعَكَّنٍ، وَأَحْشَاءٍ لَطِيفَةٍ، وَكَعْثَبٍ كَالْقَعْبِ الْمَكْبُوبِ يَشْرُقُ بَيَاضُهُ وَحُسْنُهُ، فَافْتُتِنَ بِهَا لِمَا رَأَى مِنْ جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا، فَوَثَبَ إِلَيْهَا، فَقَالَ عَرْفَجَةُ بْنُ شَرِيكٍ فِي ذَلِكَ:[البحر البسيط]

مَا بَالُ أَرْذَلُ إِذْ تَمْشِي مُوَزَّرَةً ... فِي الْبَيْتِ بِابْنِ قَتِيلِ الْعَنْزِ ذَا الْعَلَقِ
أَخَوِيَةٌ يَبْتَغِي مِنْهَا فَيُعَلِّمُهَا ... أَوْ بَعْضُ مَا يَعْتَرِي الْجَانِي مِنَ الشَّبَقِ

١- "اعتلال القلوب برقم ٢٠١ ١٠٣/١.

العكن :الأطواء في لحم البطن سمنا .ينظر:لسان العرب ٢٨٨/١٣،الكفل :العجز ينظر:لسان العرب ٥٨٨/١١ ،القعب:القدح الضخم .ينظر:لسان العرب ٦٨٣/١.

قَالَ: فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ قَوْلُهُ وَفِعْلُ سَعِيدٍ بِأَرْذَلَ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: بَعْضُ مَا يَعْتَرِي وَاللَّهِ الْجَانِي مِنَ الشَّبَقِ، وَصَرَفَ سَعِيدًا "

فهذه صورة كلامية لامرأة جميلة أطنب السارد في ذكر أوصافها مفصلة كأنها ماثلة أمام العيون وقد استطاع بذلك الوصف إبطاء حركة السرد زمنيا امعانا في تأمل تلك المرأة وإبراز ما عليه من جمال وفتنة أهلتها لممارسة البغاء.

وإذا رسم الوصف الجسدي للشخصية صورة من الخارج فإن الوصف المعنوي يرسم لها صورة من الداخل وهي الأعمق كما في الخبر الذي رواه "الخرائطي"في "اعتلال القلوب"عن الجارية التي كان لها ابن عم غيورا فحبسها وزوجها فعشقها غير زوجها فتراسلا شعرا فهمته أمها فاستشارت أباها ففطن لذلك زوجها فطلقها وتزوجت بمن تهوى.

قال"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، عَنْ بَعْضِ ، مَشَايِخِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانَتْ لَهُ ابْنَةُ عَمٍّ جَمِيلَةٌ ، وَكَانَ غَيُورًا ، فَابْتَنَى لَهَا فِي دَارِهِ صَوْمَعَةً ، وَجَعَلَهَا فِيهَا ، وَزَوَّجَهَا مِنْ أَكْفَئِهَا مِنْ بَنِي عَمِّهَا ، وَأَنَّ فَتًى مِنْ كِنَانَةَ مَرَّ بِالصَّوْمَعَةِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَهَا ، وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا ، وَأَنَّهُ افْتَعَلَ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ وَدَعَا غُلَامًا مِنَ الْحَيِّ فَعَلَّمَهُ الْبَيْتَ ، وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ هَذِهِ الدَّارَ وَأَنْشِدْ كَأَنَّكَ لَاعِبٌ ، وَلَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ وَلَا تُصَوِّبْهُ ، وَلَا تُومِئْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَحَدٍ ، فَفَعَلَ الْغُلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَكَانَ زَوْجُ الْجَارِيَةِ قَدْ أَزْمَعَ عَلَى سَفَرٍ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [البحر الطويل]

١- "اعتلال القلوب برقم ٥٨٣ ٢/٢٩٣.

لَحَا اللَّهُ مَنْ يَلْحَى عَلَى الْحُبِّ أَهْلَهُ ... وَمَنْ يَمْنَعِ الـنَّفْسَ اللُّجُـوجَ هَوَاهَـا
قَالَ: فَسَمِعَتِ الْجَارِيَةُ فَفَهِمَتْ فَقَالَتْ:
أَلَـا إِنَّمَـا بَـيْنَ التَّفَـرُّقِ لَيْلَـةٌ ... وَيَـوْمٌ فَتُعْطَـى كُـلُّ نَفْـسٍ مُنَاهَـا
قَالَ: فَسَمِعَتِ الْأُمُّ فَفَهِمَتْ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:
أَلَا إِنَّمَـا يَعْنُـونَ نَاقَـةَ رَحْلِكُـمْ ... فَمَـنْ كَـانَ ذَا نُـوقٍ لَدَيْـهِ رَعَاهَـا
فَسَمِعَ الْأَبُ فَفَهِمَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
إِنَّـا سَـنَرْعَاهَا وَنُوثُـقُ قَيْـدَهَا ... وَنَطْـرُدُ عَنْهَـا كُـلَّ وَحْـشٍ أَتَاهَـا
فَسَمِعَ الزَّوْجُ فَفَهِمَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
سَـمِعْتُ الَّـذِي قُلْـتُمْ فَهَـا أَنَـا مُطْلِـقٌ ... فَتَـاتَكُمُ مَهْجُـورَةً لِبَلَاهَـا
[قَالَ: فَطَلَّقَهَا الزَّوْجُ وَخَطَبَهَا ذَلِكَ الْفَتَى ، وَأَرْغَبَهُمْ فِي الْمَهْرِ ، فَتَزَوَّجَهَا

فغيرة ابن العم واحتيال الحبيب وفطنة أولى الأمر كلها أوصاف معنوية رسمت صورة داخلية نفسية لشخصيات الخبر في ظل إبطاء هادف لحركة السرد.

وصف المكان :

يصف السارد المكان وصفا تفصيليا في محاولة لإبطاء السرد وقطع الحركة الزمنية المتتابعة تمهيدا لسرد حدث ما يرى في التمهيد له ضرورة لجذب انتباه المسرود له معايشة لذلك الحدث وقد وصف "الخرائطي"في "اعتلال القلوب"بعض الأماكن لتكون خلفية للحدث .

ومن ذلك ما رواه عن خبر الجارية الطنبورية التي غنت شعرا تأسى فيه لحال العشاق بحضرة" أسحاق الموصلي"(١) فهاجت نفسا فلم تطق صبرا على الهجر فألقت نفسها في دجلة فتبعها حبيبها بإلقاء نفسه كذلك.

يقول"الخرائطي"(٢):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الدُّولَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: " انْحَدَرْتُ قَالَ: مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى، مَعَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: الْعَلْثُ دَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا، وَحَوْلَ مِنَ الْحِرَاقَةِ الَّتِي فِيهَا الْخَدَمُ جَارِيَتَيْنِ عَوَّادَةٌ وَطُنْبُورِيَّةٌ، وَمُدَّتْ سِتَارَةٌ فَغَنَّتِ الطُّنْبُورِيَّةُ: [البحر الكامل]

يَا رَحْمَتِي لِلْعَاشِقِينَا ... مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينَا
كَمْ يُهْجَرُونَ وَيُبْعَدُو ... نَ وَيُضْرَبُونَ وَيَصْبِرُونَا

فَقَالَتْ لَهَا الْعَوَّادَةُ: فَيَصْنَعُونَ مَاذَا إِذَا لَمْ يَصْبِرُوا؟ فَهَتَكَتِ السِّتَارَةُ وَقَالَتْ: يَصْنَعُونَ هَكَذَا، وَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي دِجْلَةَ فَغَرِقَتْ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ غُلَامٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَتِ الْجَارِيَةُ قَالَ:[البحر الكامل]

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي ... بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا
لَا خَيْرَ بَعْدَكِ إِنْ بَقِينَا ... وَالْمَوْتُ زَيْنُ الْعَاشِقِينَا

١- "إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد النديم. كان رأساً في صناعة الأدب والموسيقى. أديباً عالماً أخبارياً شاعراً محسناً كثير الفضائل. سمع من مالك وهشيم وجماعة. وعاش خمساً وثمانين سنة. وكان نافق السوق عند الخلفاء العباسية، يعد من الأجواد توفي سنة أربع وثلاثين ومئتين.ينظر:العبر ١/٣٣٠.

٢- "اعتلال القلوب برقم ٤٢٧ ١/٢١٩.

وَأَلْقَى نَفْسَهُ خَلْفَهَا فَغَرَقَ، وَأُنْشِدَ ذَلِكَ عَلَى إِسْحَاقَ فَرَفَعَ النَّبِيذَ وَأَمَرَ بِطَلَبِهِمَا وَإِخْرَاجِهِمَا، فَأُخْرِجَا مِنَ الْمَاءِ فَدَفَنَّاهُمَا "

فالسارد يصف المكان إذ هو متنزه على شاطئ دجلة محدد الموضع"العث "اتُخذ مجلسا للشراب والغناء فهوبمثابة المسرح الذي رسم السارد تفاصيله بعناية تمهيدا لسرد ما سيجري فيه من أحداث إذ أثار الغناء شجون الجارية التي شفها الوجد فألقت بنفسها في مياه النهر فتبعها أليفها وفاء ورغبة عن الدنيا بدونها وأملا في اتحاد المصير.

المكان

يخلق الإنسان في مكان، ويخرج إلى مكان، ويواصل رحلة حياته في التنقل من مكان إلى مكان ؛ أملًا في العثور على المكان المتوافق مع أحلامه ،ثم يستقر في الأخير في مكان.

وللمكان أهمية خاصة في النص الأدبي لا بذاته وإنّما بما يؤدي من وظائف يسخرها الأديب لخدمة مبتغاه ،وهو على صلة وثيقة بباقي عناصر السرد.

فهو يؤطر العمل السردي مع الزمان كما يرتبط بالحدث انطلاقاً من كونه الحيزَ الذي تدور فيه الأحداث ، حتى أنّ المكان "لا تبدو له اهمية إلا عندما يحدث فيه شيء ما" (١).

والمكان "هو الذي يعكس حقيقة الشخصية" (٢) ،إلا أننا نجد في بعض الأحيان أنّ المكان يفقد كثيراً من صفاته الواقعية ويتخلى عنها ليكون جزءاً

١- "تداخل البنى السردية والتركيبية والرؤية للعالم في الغربة واليتيم لعبد الله العروي" : الطائع الحداوي ، مجلة الأقلام ، العدد (٦) ، ١٩٨٧م ص ١٠١ .

٢- بناء الرواية ،ص ٨٤ .

من تجربة الشخصية فيضيق أو يتسع حسب اللحظة النفسية التي تمر بها(١).

أنواع الأمكنة :

درس الباحثون الأمكنة دراسات متعددة وقسّموها على اقسام متنوعة فكان منهم من قسمها على ذاتيةٍ وجماعية ، ومنهم من قسمها على ثابتةٍ ومتغيرة وآخر رأى فيها أنّها نوعان أمكنة جاذبة وأخرى طاردة .. وهكذا(٢) تعددت التسميات واختلفت التقسيمات كلاً حسب مادته السردية قيد الدراسة.

أولا: الأماكن المفتوحة

وهي التي تكون مفتوحة من جانب واحد فأكثر،شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى، وتدخل ضمن إطار الأماكن المفتوحة،الطرق والأسواق والحدائق والمدن والضواحي والبساتين وساحات الحروب (٣)ومن الأماكن المفتوحة التي سجلت حضورا في أخبار "اعتلال القلوب"الجبل الذى واعدت "بثينة""جميلا"وراءه .

يقول"الخرائطي" (٤):

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَّازُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ الْجُعْفِيُّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ كُثَيِّرَ عَزَّةَ لَقِيَ جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ: مَتَى عَهْدُكَ بِبُثَيْنَةَ؟ قَالَ: مَالِي بِهَا

١- ينظر : تحولات القصّ في أدب الثمانينات : اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، العدد (٦) ، ١٩٨٩م ص١٦.

٢- ينظر: الفضاء الروائي ص ٢٥٢ وما بعدها، القارئ والنص/العلامة والدلالة : ٤٦.

٣ - ينظر: المكان ودلالته في الرواية العراقية : رحيم علي جمعة العزاوي، ص ١٣٥،أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة بغداد ،٢٠٠٣ ،

٤- "اعتلال القلوب برقم ٥٨١ ٢٩٢/٢.

عَهْدٌ مُنْذُ عَامِ أَوَّلَ وَهِيَ تَغْسِلُ ثَوْبًا بِوَادِي الرُّومِ ، فَقَالَ لَهُ كُثَيِّرٌ: أَتُحِبُّ أَنْ أَعِدَهَا لَكَ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ إِلَى بُثَيْنَةَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهَا: أَيَا فُلَانٌ ، مَا رَدَّكَ؟ أَمَا كُنْتَ عِنْدَنَا قَبِيلٌ؟ قَالَ: بَلَى ، وَلَكِنْ أَحْضَرَنِي أَبْيَاتٌ قُلْتُهَا فِي عَزَّةَ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: [البحر الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ أَرْسَلَ صَاحِبِي ... عَلَى نَأْيِ دَارِي وَالرَّسُولُ تَوَكَّلُ
بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكِ مَوْعِدًا ... وَأَنْ تُخْبِرِينِي مَا الَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ
أَمَا تَذْكُرِينِي الْعَهْدَ يَوْمَ لَقِيتُكُمْ ... بِأَسْفَلِ وَادِي الرُّومِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ
فَقَالَتْ بُثَيْنَةُ: اخْتَبِئْ ، فَقَالَ أَبُوهَا: مَا هَاجَكِ يَا بُثَيْنَةُ؟ قَالَتْ: كَلْبٌ لَا يَزَالُ يَأْتِينَا مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْجَبَلِ بِاللَّيْلِ ، وَأَنْصَافِ النَّهَارِ. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ وَعَدَتْكَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْجَبَلِ بِاللَّيْلِ وَأَنْصَافِ النَّهَارِ ، فَالْقَهَا إِذَا شِئْتَ فالجبل بوصفه مكانا موحشا لطبيعته القاسية ووعورة تضاريسه يعد هنا أحب الأماكن إلى النفس وأغراها بالزيارة إذ أضحى ملتقى العشاق حيث واعدت "بثينة""جميل بن معمر".

ثانيا:الأماكن المغلقة:

هي الأماكن التي تحدها حدود من جوانبها الثلاثة،وبشرط أن تكون لها حدود سقفية،وتقسم هذه الأماكن إلى عامة،وخاصة. أما الخاصة،فيكون الوجود فيها لأصحابها بشكل رئيس،مثل البيت،ومن مميزات هذا النوع من الأماكن،أنها تجعل من فيها منعزلا وذا خصوصية في خارجها (١)ومن نماذج الأماكن المغلقة ما رواه "الخرائطي" في خبر "أم جندب"التي راودها "أبو السيارة "عن نفسها فأبت واحتالت وزوجها لتأديبه على فعلته وكاد يهلك لولا تدخل أخيه واستنقاذه من يدي "أبي جندب".

(١) جماليات المكان في الرواية:، شاكر النابلسي،ص ٨٢،المؤسسة العربية للدراسات للنشر-بيروت،١٩٩٤

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَرَّاءُ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ: " أَنَّ أَبَا السَّيَّارَةِ، أُولِعَ بِامْرَأَةِ أَبِي جُنْدُبٍ فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ أَبَا جُنْدُبٍ إِنْ يَعْلَمْ بِهَذَا يَقْتُلْكَ، فَأَبَى أَنْ يَنْزِعَ، فَكَلَّمَتْ أَخَا أَبِي جُنْدُبٍ فَكَلَّمَهُ فَأَبَى أَنْ يَنْزِعَ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ أَبَا جُنْدُبٍ، فَقَالَ: إِنِّي مُخْبِرُ الْقَوْمِ أَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْإِبِلِ، فَإِذَا أَظْلَمَتْ جِئْتُ فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ، فَإِنْ جَاءَكِ فَأَدْخِلِيهِ عَلَيَّ، فَوَدَّعَ أَبُو جُنْدُبٍ الْقَوْمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى الْإِبِلِ، فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ جَاءَ فَأَكْمَنَ فِي الْبَيْتِ، وَجَاءَ أَبُو السَّيَّارَةِ وَهِيَ تَطْحَنُ فِي طَلَبِهَا، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا:، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ، هَلْ دَعَوْتُكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا أَصْبِرُ عَنْكِ، فَقَالَتِ: ادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى أَتَهَيَّأَ لَكَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ أَغْلَقَ أَبُو جُنْدُبٍ الْبَابَ وَأَخَذَهُ فَدَقَّ مِنْ عُنُقِهِ إِلَى عَجْبِ ذَنَبِهِ، فَذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى أَخِي أَبِي جُنْدُبٍ فَقَالَتْ: أَدْرِكِ الرَّجُلَ، فَإِنَّ أَبَا جُنْدُبٍ قَاتِلُهُ. فَجَعَلَ أَخُوهُ يُنَاشِدُهُ اللَّهَ فَتَرَكَهُ، وَحَمَلَهُ أَبُو جُنْدُبٍ إِلَى مَدْرَجَةِ الْإِبِلِ فَأَلْقَاهُ، فَكَانَ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ إِنْسَانٌ قَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَيَقُولُ: وَقَعْتُ عَنْ بِكْرٍ فَحَطَّمَنِي، فَأَنْشَأَ مَحْدُوبًا، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ، فَبَعَثَ عُمَرُ إِلَى أَبِي جُنْدُبٍ فَأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَصَدَّقُوهُ، فَجَلَدَ عُمَرُ أَبَا السَّيَّارَةِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَأَبْطَلَ دِيَتَهُ "

فقد كان البيت بجدرانه مسرحا لأحداث الخبر التي لائمت الجو العام للأحداث التي تتطلب السرية من مراودة واحتيال وانتقام.

١- "اعتلال القلوب برقم ١٩٢ ٩٩/١.

المبحث الرابع

سمات السرد في أخبار"اعتلال القلوب"

تميزت أخبار "اعتلال القلوب"بجملة من السمات السردية التي كان لها تجليها الواضح وحضورها البيّن

أولا: اعتماد النظام الإسنادي :

يُعرّف السنَد على أنّه " سلسلة رواة ، تنتهي بالراوي الأول وهو الذي شهد الحديث"(١)، ولم يكن التزام السند وتأطير المرويات بإطاره نابعاً من مجال الأدب أو التاريخ وإنّما كان في بادئ أمره متأصلاً في علم الحديث ثم انتقل فيما بعد إلى المجالات الأخرى ، بعد أن أصبح له قوة دينية حيث عد جزءا من الحديث.

وهذا ما لاحظناه في كتاب"اعتلال القلوب"حيث ضم ما يربو على ثمانمائة خبرا معظمها معتمدة السند أسلوبا في الرواية .

ومن أساليب السند عند "الخرائطي "في كتابه:

السند العادي :

وفيه يحيل الكاتب سند أخباره إلى راوٍ أول واحد(٢) من دون أن نلحظ أي تعدد للرواة او أي طول مهما كان لونه لسلسلة السند ، ومن نماذج ذلك ما ورد في خبر رواه"الخرائطي"عن"عثمان بن الضحاك"(٣)مع

١- مملكة الباري (السرد في قصص الأنبياء) : محمد كريم الكواز ، ص ٩٥،الانتشار العربي ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

٢- ينظر : السابق ص ٩٥.

٣- "الضحاك بن عثمان الحزامي المدني. روى عن نافع وجماعة توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة.ينظر:العبر ١٦٨/١.

"نصيب"الشاعر وملهمته حيث أنشدها آخر ما قرض من الشعر ثم قام معه وارتحلا عنها فلم يمكث عندها إلا قليلا.

يقول"الخرائطي"(١):

وَيُرْوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الضَّحَّاكِ الْحَرَامِيِّ قَالَ: " خَرَجْتُ أُرِيدُ الْحَجَّ، ، فَنَزَلْتُ بِخَيْمَةٍ بِالْأَبْوَاءِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ جَالِسَةٌ عَلَى بَابِ خَيْمَةٍ فَأَعْجَبَنِي حُسْنُهَا، فَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ نَصِيبٍ:[البحر الطويل]

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وَقَبْلَ أَنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَّكِ الْقَلْبُ

قَالَتْ: يَا هَذَا، أَتَعْرِفُ قَائِلَ هَذَا الشِّعْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ذَلِكَ نَصِيبٌ قَالَتْ: فَتَعْرِفُ زَيْنَبَهُ؟ قُلْتُ: لَا قَالَتْ: فَأَنَا زَيْنَبُهُ، قُلْتُ: حَيَّاكِ اللَّهُ قَالَتْ: أَمَا إِنَّ الْيَوْمَ مَوْعِدَهُ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، خَرَجَ إِلَيْهِ عَامَ أَوَّلَ، فَوَعَدَنِي هَذَا الْيَوْمَ، لَعَلَّكَ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تَرَاهُ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ أَنَا بِرَاكِبٍ قَالَتْ: تَرَى ذَلِكَ الرَّاكِبَ؟ إِنِّي لَأَحْسَبُهُ إِيَّاهُ، وَأَقْبَلَ فَإِذَا هُوَ نَصِيبٌ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَرِيبًا مِنْهَا يُسَائِلُهَا أَنْ يُنْشِدَهَا مَا أَحْدَثَ، فَأَنْشَدَهَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مُحِبَّانِ طَالَ التَّنَائِي بَيْنَهُمَا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمَا إِلَى صَاحِبِهِ حَاجَةٌ، فَقُمْتُ إِلَى بَعِيرِي لِأَشُدَّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ، إِنِّي مَعَكَ، فَجَلَسْتُ حَتَّى نَهَضَ مَعِي، فَتَسَايَرْنَا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: أَقُلْتَ فِي نَفْسِكَ: مُحِبَّانِ الْتَقَيَا بَعْدَ طُولِ تَنَاءٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمَا إِلَى صَاحِبِهِ حَاجَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ قَالَ: وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، مَا جَلَسْتُ مِنْهَا مَجْلِسًا أَقْرَبَ مِنْ هَذَا "

فقد ذكر "الخرائطي"السارد الأول "عثمان بن الضحاك"فقط وذلك يعد سندا مفردا إذ لم تطول فيه سلسلة السند ولم يتعدد الساردون.

١- "اعتلال القلوب برقم ١١٤ ١/٦٢,٦٣.

الثاني : السند الممزوج :

وهو بخلاف السند العادي ، إذ تتعدد فيه سلسلة الرواة ، ليُحيلنا الكاتب إلى أكثر من راوٍ وهنا يجد المؤلف ضالته المنشودة وفرصته المتحققة ليصوغ سرد الخبر بأسلوبه الخاص الذي يختلف بطبيعة الحال عن الأسلوب الأول لرواية الخبر بزيادة وحذف ، أو تغيير وتبديل ومن ثَمَّ تقديم سردٍ ذو شكل عام مختلف عن الأصل إلا أنّ المضمون واحد(١). ومن أمثلة السرد الممزوج ما ذكره "الخرائطي" من خبر زواج "عاتكة بنت زيد"بثلاثة رجال اختطفهم الموت .

يقول"الخرائطي"(٢)

حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ الْمُنْذِرِ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ، يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَنَّ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ كَانَتْ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَأَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا حَتَّى كَادَتْ تَغْلِبُهُ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَشْغَلُهُ عَنْ شَوْقِهِ ،فَأَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفِرَاقِهَا ثُمَّ عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَفَارَقَهَا، فَرَقَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَرَاجَعَهَا، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ تَرْثِيهِ: [البحر الطويل]

آلَيْتُ لَا تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِينَةً ... عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتًى ... أَعَفَّ وَأَمْضَى فِي الْهَيَاجِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شُرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا ... إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرُّمْحَ أَحْمَرَا

١- ينظر : مملكة الباري ص ٩٥ .

٢- "اعتلال القلوب برقم ٤٣٩ ١/٢٢٤..

فَلَمَّا خَلَتْ بِزَوْجِهَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْلَمَ عَلَيْهَا مَتَى دَخَلَ بِهَا، وَدَعَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلُوا قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُدْخِلُ رَأْسِي إِلَى عَاتِكَةَ أُكَلِّمُهَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَدْخَلَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، وَقَالَ: يَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا

آلَيْتُ لَا تَنْفَكُّ عَيْنِي قَرِيرَةً ... عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَصْفَرَا

فَبَكَتْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ، كُلُّ النِّسَاءِ يَفْعَلْنَ هَذَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ تَرْثِيهِ: [البحر الخفيف]

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ ... لَا تَمَلِّي عَلَى الْجَوَادِ النَّجِيبِ

فَجَعَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعْـ ... ـلَمِ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَالتَّثْوِيبِ

قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَّاءِ وَالْبُؤْسِ مُوتُوا ... قَدْ سَقَتْهُ الْمَنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ

فَلَمَّا خَلَتْ بِزَوْجِهَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَاسْتَأْذَنَتْ لَيْلَةً أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَكَرِهَ أَنْ يَمْنَعَهَا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» . فَأَذِنَ لَهَا ثُمَّ انْكَمَأَ لَهَا فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ مِنَ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا مَرَّتْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَعْضِ جَسَدِهَا، فَكَرَّتْ رَاجِعَةً تُسَبِّحُ. فَسَبَقَهَا الزُّبَيْرُ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ قَالَ لَهَا: مَا رَدَّكِ عَنْ وَجْهِكِ؟ قَالَتْ: كُنَّا نَخْرُجُ وَالنَّاسُ تُسَاسُ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا، وَتَرَكَتْ طَلَبَ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا قُتِلَ الزُّبَيْرُ قَالَتْ تَرْثِيهِ:[البحر الكامل]

إِنَّ الزُّبَيْرَ لَذُو جَلَاءٍ صَادِقٍ ... سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ كَرِيمُ الْمَشْهَدِ

فَلَمَّا خَلَتْ، خَطَبَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَأَضِنُّ بِكَ عَنِ الْقَتْلِ "

فقد طالت سلسلة السند حيث أخذ "الخرائطي"عن غيره الذي أخذ الخبر عن غيره كما تعدد الرواة الذين أخذ عنهم"الخرائطي"نفس الخبر "ابن المنذر"و"ابن الضحاك"ولذا عد سندا ممزوجا.

وما التنوع في أساليب السند إلا لأنه يريد أنْ يضع طوق الصدق في رقبة المتلقي كي لا يشك في مصداقية ما يقرأ .

سادسا: تنوع اللغة السردية ودقتها

تنوعت لغة السرد في "اعتلال القلوب بين مستويات ثلاثة التقرير والتصوير والتعبير وعلى اختلاف تلك المستويات اتفقت في دقة الألفاظ حيث بلغ التركيز حد "أنه لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها، فكل لفظة تكون موحية، ويكون لها دورها"(١).

المستوى التقريري : وهو بيان تفصيلي يقتضي العناية بالوضوح أكثر من العناية بالأسلوب (٢) (ومن نماذج اللغة التقريرية في أخبار "اعتلال القلوب"الخبر الذي رواه"الخرائطي"عن الفتاة التي احتالت على أهلها بادعاء الحمل كذبا حتى تتزوج بابن عمها.

قال "الخرائطي"(٣):

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْوَاسِطِيُّ النَّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ تَغْلِبَ يُدْعَى زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو ، وَقَالَ: " كَانَ فِينَا رَجُلٌ لَهُ ابْنَةٌ شَابَّةٌ جَمِيلَةٌ ، وَكَانَ لَهُ ابْنُ أَخٍ يَهْوَاهَا وَتَهْوَاهُ ،

١- الأدب وفنونه ص١١٣.

٢- ينظر : المعجم المفصل في الأدب :د/ محمد التونجي ، ١/ ٢٧٣) دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م ..

٣- "اعتلال القلوب برقم ٥٧٣ ٢٨٨/٢.

فَمَكَثَ بِذَاكَ دَهْرًا ، ثُمَّ إِنَّ الْجَارِيَةَ خَطَبَهَا بَعْضُ الْأَشْرَافِ فَأَرْغَبَ فِي الْمَهْرَ ، فَأَنْعَمَ أَبُو الْجَارِيَةِ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ لِلْخِطْبَةِ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ لِأُمِّهَا: يَا أُمِّي ، فَمَا يَمْنَعُ أَبِي أَنْ يُزَوِّجَنِي مِنَ ابْنِ عَمِّي؟ قَالَتْ: أَمْرٌ كَانَ مَقْضِيًّا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ ، رَبَّاهُ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَدَعُهُ كَبِيرًا ، ثُمَّ قَالَتْ: أَيْ أُمِّي ، إِنِّي وَاللَّهِ حَامِلٌ ، فَاكْتُمِي إِنْ شِئْتِ أَوْ بُوحِي ، فَأَرْسَلَتِ الْأُمُّ إِلَى الْأَبِ فَخَبَّرَتْهُ ، فَقَالَ: اكْتُمِي هَذَا الْأَمْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ ، إِنِّي كُنْتُ قَدْ أَجَبْتُكُمْ ، إِنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ رَجَوْتُ فِيهِ الْأَجْرَ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ ابْنَتِي فُلَانَةَ ابْنَ أَخِي فُلَانًا ، فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: أَدْخِلُوهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: هِيَ بِالرَّحْمَنِ كَافِرَةٌ إِنْ دَخَلَ عَلَيْهَا سَنَةً أَوْ يَتَبَيَّنُ حَمْلُهَا قَالَ: فَمَا دَخَلَ بِهَا إِلَّا بَعْدَ حَوْلٍ ، فَعَلِمَ أَهْلُهَا أَنَّهَا احْتَالَتْ عَلَى أَبِيهَا "

فقد اعتنى السارد بوضوح أسلوبه دون اللجوء إلى عبارات تصويرية أو جمل مفعمة بحرارة العاطفة.

المستوى التصويري : بمعنى إبراز الانفعالات الداخلية والخارجية بكلمات معبرة ، إما من خلال التحليل ، وإما من خلال الوصف النقلي . (١) ومن أوضح الشواهد على اللغة التصويرية في أخبار "اعتلال القلوب"سرده خبرعشق "يزيد بن عبد الملك" (٢جاريته"حبابة"بقصر الخلافة ومحاولات

١- (ينظر : المعجم الأدبي :د/ جبور عبد النور ، ص ٦٩ دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

٢- "يزيد بن عبد الملك بن مروان١يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد، الأموي، الدمشقي.ولد سنة إحدى وسبعين، وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان كما تقدم. ومات في أواخر شعبان سنة خمس ومئة.ينظر:تاريخ الخلفاء : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ،المتوفى ٩١١ ه، تحقيق: أحمدي الدمرداش ، مكتبة ندار مصطفى الباز ،ص ١٨٤،الطبعة الأولى ١٤١٥ ه-٢٠٠٤ م.

إرضائها بشتى الوسائل وذلك بلغة تصويرية قوامها الرسم بريشة الفنان بألوانه بل يضيف إلى ألوانه حركة توحي بتجسيم الحدث كأنه يجري أمام النواظر.

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرُوسٍ قَالَ: كَانَ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا حَبَابَةُ ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا شَدِيدَ الْوَجْدِ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا: " إِنَّى قَدْ وَلَّيْتُ فُلَانًا الْخَادِمَ مَا حَوَتْهُ يَدَيَّ شَهْرًا لَأَخْلُوَ أَنَا وَأَنْتِ فَلَا يَشْغَلُنَا أَحَدٌ ، فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ وَلَّيْتَهُ فَقَدْ عَزَلْتُهُ أَنَا. قَالَ: فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَخَرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَلَمَّا أَضْحَى النَّهَارُ فَلَمْ يَرَهَا ضَاقَ صَدْرُهُ وَقَلَّ صَبْرُهُ ، فَدَعَا بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَا الَّذِي تَصْنَعُ حَبَابَةُ ، فَمَضَى الْخَادِمُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: رَأَيْتُهَا مُؤْتَزِرَةً بِإِزَارٍ خَلُوقِيٍّ ، مُرْتَدِيَةً بِرِدَاءٍ أَصْفَرَ زَهِيٍّ ، تَلْعَبُ بِلُعَبِهَا ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاحْتَلْ فِي أَنْ تُجِيرَهَا عَلَيَّ ، فَذَهَبَ الْخَادِمُ فَلَاعَبَهَا ثُمَّ اسْتَلَبَ لُعْبَةً مِنْ لُعَبِهَا ، وَعَدَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَتَبِعَتْهُ تَعْدُو وَرَاءَهُ ، فَمَرَّتْ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهَا قَامَ إِلَيْهَا فَاعْتَنَقَهَا وَقَالَ لَهَا: فَإِنِّي قَدْ عَزَلْتُهُ ، فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ قَدْ عَزَلْتَهُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُهُ قَالَ: فَوُلِّيَ الْخَادِمَ وَعُزِلَ وَهُوَ لَا يَدْرِي. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ خَلَا مَعَهَا أَيَّامًا وَتَشَاغَلَ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ النَّاسِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَعَذَلَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَخَذَتِ الْعُودَ فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا ثُمَّ تَغَنَّتْ: [البحر الطويل]

أَلَا لَا تَلُمْهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَلَذَّذَا ... فَقَدْ مُنِعَ الْمَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا يُلَذُّ وَيُشْتَهَى ... وَإِنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا

١- "اعتلال القلوب برقم ٦٢٣ ٢/٣١١.

فقد صورت اللغة أحداث ذلك الخبر بشتى تفاصيله فاللون الأصفر الفاقع يشع من جنبات الصورة ممتزجا بصوت الغناء ورنة العود الذي أسهم في التجسيم الذي زادته حركة العدو جمالية وتأثيرا.

المستوى التعبيري : بمعنى تمثيل الأشياء كما تصورها انفعالات الأديب نحوها ، لا كما هي في الحقيقة والواقع ، فيفرض مشاعر الأديب على تصور الواقع . (١) (ومن شواهد اللغة التعبيرية في أخبار "اعتلال القلوب"ما روى"الخرائطي "عن خبر"محمد بن حميد الطوسي"(٢) وجاريته "ظلوم"من لقاء ففراق فسوء ظن فعتاب حتى التقيا فلم يفرقهما إلا الموت. يقول""الخرائطي"(٣):

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقٍ الرَّقِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الرَّقِّيُّ، عَنْ بَعْضِ وَلَدِ حُمَيْدٍ الطُّوسِيِّ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ يَهْوَى جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا: ظَلُومٌ، وَكَانَ شَدِيدَ الشَّغَفِ بِهَا، وَكَانَتْ تَجِدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِهِ وَقَدْ فُرِشَ بِالدِّيبَاجِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْجَوَارِي وَالْمُغَنُّونَ، وَلَيْسَ ظَلُومٌ حَاضِرَةً إِذْ وَجَّهَ بَعْضُ جَوَارِيهِ بِأُتْرُجَّةٍ مَحْشُوَّةٍ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، فَلَمَّا وُضِعَتْ فِي يَدِهِ شَمَّهَا وَشَرِبَ رِطْلًا وَذَكَرَ ظَلُومًا، فَدَعَا بِوَصِيفٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأُتْرُجَّةَ، وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِهَذِهِ إِلَى ظَلُومٍ، فَلَمَّا دَفَعَ إِلَيْهَا الْأُتْرُجَّةَ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ بَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى رَحِمَهَا جَمِيعُ مَنْ حَضَرَهَا،

١- ينظر : المعجم الأدبي ، ، صـ ٧٢) .

٢- "أحد قواد المأمون جهزه بجيش عظيم لقتال بابك الخرمي فهزمه بابك وقتله سنة أربع عشرة ومئتين.ينظر:العبر ١/287.

٣- "اعتلال القلوب برقم ٤٢٣ ١/٢٠٨.

وَقَالُوا: إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا أَعْجَبَ مِنْكِ، يُوَجِّهُ إِلَيْكِ بِتَحِيَّةٍ فَتَبْكِينَ فَقَالَتْ: أَنَا أَتَغَنَّى بِصَوْتٍ تَعْلَمُونَ مِمَّ بُكَايَ، فَانْدَفَعَتْ تُغَنِّي:[البحر الكامل]

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أُتْرُجَّةً ... فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عَيَافَةِ زَاجِرِ
خَافَ التَّلَوُّنَ وَالْفِرَاقَ لِأَنَّهَا ... لَوْنَانِ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ

فَلَمَّا جَاءَ الْغُلَامُ قَالَ: مَا بَطَّأَ بِكَ؟ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهَا كَانَتْ خَارِجَةً عَنْ مَنْزِلِهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ عَنْهَا حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَوْضِعِهَا، فَغَاظَهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا: [البحر الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِغَيْبِكِ حَافِظٌ ... فِي حِفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكِ
فَصِدْتِ عَنْهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ ... إِلَّا الْوُقُوفُ إِلَى أَوَانِ رُجُوعِكِ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بِحَيَاتِهِ ... فَبِحُسْنِ وَجْهِكِ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

وَوَجَّهَ إِلَيْهَا بِالرُّقْعَةِ مَعَ الْغُلَامِ وَأَمَرَهُ أَلَّا يَأْخُذَ لَهَا جَوَابًا، فَلَمَّا دَفَعَ إِلَيْهَا الرُّقْعَةَ قَرَأَتْهَا ثُمَّ بَكَتْ حَتَّى رَحِمَهَا جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْغُلَامِ: اسْمَعْ مِنِّي صَوْتًا وَاحْفَظْهُ، وَانْدَفَعَتْ تُغَنِّي: [البحر الخفيف]

هَلْ لِعَيْنِيَّ إِلَى الرُّقَادِ شَفِيعُ ... إِنَّ قَلْبِي مِنَ السِّقَامِ مَرُوعُ
لَا تَرَانِي بَخِلْتَ عَنْكَ بِدَمْعٍ ... لَا وَرَوحِ الْحَبِيبِ مَا لِي دُمُوعُ
إِنَّ قَلْبِي إِلَيْكَ صَبٌّ حَزِينٌ ... فَاسْتَرَاحَتْ إِلَى الْأَنِينِ الضُّلُوعُ

لَيْسَ فِي الْعَطْفِ يَا مُحَمَّدُ بِدْعٌ ... إِنَّمَا كُلُّ مَا أُقَاسِي بَدِيعُ

وَلَمْ تَزَلْ تُرَدِّدُهَا عَلَيْهِ حَتَّى حَفِظَهَا الْغُلَامُ، فَانْصَرَفَ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: أَخْبِرْنِي بِجَمِيعِ مَا رَأَيْتَ مِنْهَا، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهَا، وَغَنَّاهُ الْأَبْيَاتَ فَبَكَا، وَقَالَ: صَدَقَتْ وَاللَّهِ، لَيْسَ فِي الْعَطْفِ عَلَى مِثْلِهَا بِدْعٌ، وَدَعَا بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ وَكَتَبَ إِلَيْهَا أَنْ تَصِيرَ إِلَيْهِ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ الرُّقْعَةِ: [البحر البسيط]

أَنْزَلْتِ بِالْقَلْبِ هَمًّا قَدْ أَضَرَّ بِهِ ... صَبْرًا عَلَى الْهَمِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْفَرَجُ

إِنْ كُنْتِ فِي الشَّكِّ مِمَّا بِي وَقَدْ خَفِيَتْ ... بَيْنَ الْجَوَانِحِ بَادِ الْحُبِّ مُذْجِجُ
ظَلُومُ فَاسْتَخْبِرِي عَنْ حُبِّكُمْ جَسَدِي ... يُخْبِرْكِ أَنِّي نَحِيلٌ هَائِمٌ كَهِجُ
قَالَ: فَلَمَّا قَرَأْتِ الرُّقْعَةَ وَثَبَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا حَتَّى وَافَتْ مَنْزِلَهُ وَقَالَتْ: أَنَا مَمْلُوكَةٌ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْسِي، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِيَّ حَاجَةٌ فَمُرْ بِشِرَائِي لِأَكُونَ طَوْعَ يَدِكَ، فَاشْتُرِيَتْ لَهُ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ فَكَانَتْ أَعَزَّ جَوَارِيهِ عَلَيْهِ وَأَعْلَاهُنَّ مَرْتَبَةً لَدَيْهِ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ فِي وَقْعَةِ بَابِكٍ فَقُتِلَ.

فالعواطف الحارة تنبعث من بين حروف كلمات الخبر الذي لعب دور البطولة فيه جارية شفها الوجد وخالط شغاف قلبها الحب.

ثالثا: التركيز

تتسم أخبار"اعتلال القلوب بالتركيز وذلك من خلال الوحدة على تنوع مستويات السرد من فكر وحدث وزمان ومكان حتى الشخصيات كانت مقتصرة على أقل عدد ممكن بغية تحقيق تلك الغاية التي تعد أهم سمات ذلك النوع من السرد"(١).وللتطبيق نأخذ) خبرا رواه "الخرائطي"عن "ابنة سهيل بن عمرو"عندما طلقت من زوجها "عبد الله بن عامر"ومعها وديعة منه وقدمت المدينة فتزوجها"الحسن "–رضي الله عنه–فجاء طليقها وطلب وديعته وابنته فردت الوديعة ولم ترد ابنته شفقة عليها.

يقول "الخرائطي"(٢):

حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ بْنِ نُعَيْمٍ الْغِفَارِيُّ قَالَ: طَلَّقَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ امْرَأَتَهُ ابْنَةَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، فَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَدِيعَةُ

١– الأدب وفنونه ص١١٢,١١٣.

٢– "اعتلال القلوب برقم 267/2533.

جَوْهَرٍ اسْتَوْدَعَهَا إِيَّاهُ فَتَزَوَّجَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ أَرَادَ ابْنُ عَامِرٌ الْحَجَّ ، فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَلَقِيَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ: حَدِّثْنَا يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ لِي إِلَى ابْنَةِ سُهَيْلٍ حَاجَةً ، فَأُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: الْبَسِي ثِيَابَكِ ، فَهَذَا ابْنُ عَامِرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَسَأَلَهَا وَدِيعَتَهُ ، فَجَاءَتْهُ بِهَا عَلَيْهَا خَاتَمُهُ ، فَقَالَ: خُذِي ثُلُثَهَا ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِآخُذَ عَلَى أَمَانَةٍ اؤْتُمِنْتُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَبَدًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ابْنُ عَامِرٍ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَتِي قَدْ بَلَغَتْ ، وَأُحِبُّ أَنْ تُخَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَبَكَتْ وَبَكَتِ ابْنَتُهَا ، وَرَقَّ ابْنُ عَامِرٍ فَقَالَ الْحَسَنُ: فَهَلْ لَكُمَا ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ مُحَلِّلٍ خَيْرٍ مِنِّي قَالَ: أَجَلْ ، فَوَاللَّهِ لَا أُخْرِجُهَا مِنْ عِنْدِكَ أَبَدًا قَالَ: فَكَفَلَهَا حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فالخبر يتمحور حول فكرة واحدة وهي رد الودائع وقد تجاوز الراوي مددا زمنية لكن لم يخرج عن الوحدة الزمنية التي جعلت الخبر متماسكا إضافة إلى اقتصار الشخصيات على عدد محدود ينفي عنه التفكك.

رابعا:الواقعية

إذا كانت الواقعية تعنى بتصوير الحياة كما هي في جوانبها المختلفة فأخبار "اعتلال القلوب بوصفها حكايات تاريخية فإن شخصياتها متسمة بالمرجعية(١) تتمحور أحداثها حول واقع المجتمع السياسي والاجتماعي والأدبي.

واقعية الشخصيات

تتبلور واقعية الشخصية في كونها شخصية حقيقية مسجلة في كتب التاريخ ،وهي في أخبار "اعتلال القلوب" متباينة اجتماعيا وثقافيا بين خليفة وأمير راوية وشاعر نساء منهن المترفات الرافلات في النعيم اللواتي يسكن قصور الخلافة من زوجات الخلفاء وجواريهم ومنهن من تسكن القفار.

---

١ – الشخصية المرجعية هي : التي لها وجود أو مرجع واقعي تحيل عليه،وهي تكتشف في النص السردي عبر وعي المتلقي وثقافته. بنية الشكل الروائي ص ٢١٦,٢١٧.

فمن الشخصيات الواقعية ذات البعد التاريخي "وضاح اليمن""الشاعر وأم البنين" حيث روى "الخرائطي" خبر عشقهما الذي تأجج بعد زواجها ب"الوليد بن عبد الملك" وسفرها معه إلى الشام واحتياله للقائها حتى وشى بهما بعض الخدم عند الخليفة الذي دفن الصندوق الذي اختبأ فيه "وضاح"عندهاوما كان من نواحها عند ذلك المكان حتى لقيت حتفها.

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، عَنْ أَبِي مُسْهِرٍ قَالَ: كَانَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ نَشَأَ هُوَ وَأُمُّ الْبَنِينَ صَغِيرَيْنِ ، فَأَحَبَّهَا وَأَحَبَّتْهُ ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ حُجِبَتْ عَنْهُ ، فَطَالَ بِهَا الْبَلَاءُ ، فَحَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَبَلَغَهُ جَمَالُ أُمِّ الْبَنِينَ وَأَدَبُهَا ، فَتَزَوَّجَهَا وَنَقَلَهَا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ. قَالَ: فَذَهَبَ عَقْلُ وَضَّاحٍ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ يَذُوبُ وَيَنْحُلُ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَجَعَلَ يَطِيفُ بِقَصْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً ، حَتَّى رَأَى يَوْمًا جَارِيَةً صَفْرَاءَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى تَأَنَّسَ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ تَعْرِفِينَ أُمَّ الْبَنِينَ؟ قَالَتْ: إِنَّكَ تَسْأَلُ عَنْ مَوْلَاتِي ، فَقَالَ: إِنَّهَا لَابْنَةُ عَمِّي ، وَإِنَّهَا لَتُسَرُّ بِوَضْعِي لَوْ أَخْبَرْتِيهَا قَالَتْ: إِنِّي أُخْبِرُهَا ، فَمَضَتِ الْجَارِيَةُ فَأَخْبَرَتْ أُمَّ الْبَنِينَ ، فَقَالَتْ: وَيْلَكِ أَوَحَيٌّ هُوَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَتْ: قُولِي لَهُ: كُنْ مَكَانَكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ رَسُولِي ، فَلَنْ أَدَعَ الِاحْتِيَالَ لَكَ ، فَاحْتَالَتْ إِلَى أَنْ أَدْخَلَتْهُ إِلَيْهَا فِي صُنْدُوقٍ ، فَمَكَثَ عِنْدَهَا حِينًا ، حَتَّى إِذَا أَمِنَتْهُ أَخْرَجَتْهُ فَقَعَدَ مَعَهَا ، وَإِذَا خَافَتْ عَيْنَ رَقِيبٍ أَدْخَلَتْهُ الصُّنْدُوقَ. فَأُهْدِيَ يَوْمًا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ جَوْهَرٌ ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ: خُذْ هَذَا الْجَوْهَرَ فَامْضِ بِهِ إِلَى أُمِّ الْبَنِينَ ، وَقُلْ لَهَا: أُهْدِيَ هَذَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْكِ. فَدَخَلَ الْخَادِمُ مِنْ غَيْرِ

١- "اعتلال القلوب برقم ٥٧٤ ٢/٢٨٨.

اسْتِئْذَانٍ وَوَضَّاحٌ مَعَهَا فَلَمَحَهُ وَلَمْ تُشْعُرْ أُمُّ الْبَنِينَ ، فَبَادَرَ إِلَى الصُّنْدُوق فَدَخَلَهُ ، فَأَدَّى الْخَادِمُ الرِّسَالَةَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: هَبِي لِي مِنْ هَذَا الْجَوْهَرِ حَجَرًا. فَقَالَتْ: لَا أُمَّ لَكَ ، وَمَا تَصْنَعُ أَنْتَ بِهَذَا ، فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهَا حَنِقٌ ، فَجَاءَ الْوَلِيدَ فَخَبَّرَهُ الْخَبَرَ وَوَصَفَ لَهُ الصُّنْدُوقَ الَّذِي رَآهُ دَخَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ لَا أُمَّ لَكَ ، ثُمَّ نَهَضَ الْوَلِيدُ مُسْرِعًا فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ وَفِيهِ صَنَادِيقُ عِدَادٌ ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى ذَلِكَ الصُّنْدُوق الَّذِي وَصَفَ لَهُ الْخَادِمُ ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْبَنِينَ هَبِي لِي صُنْدُوقًا مِنْ صَنَادِيقِكِ هَذِهِ ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَيَ وَأَنَا لَكَ. فَقَالَ: مَا أُرِيدُ غَيْرَ هَذَا الَّذِي تَحْتِي قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ فِيهِ شَيْئًا مِنَ أُمُورِ النِّسَاءِ ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ غَيْرَهُ ، فَقَالَتْ: هُوَ لَكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَحُمِلَ ، وَدَعَا بِغُلَامَيْنِ فَأَمَرَهُمَا بِحَفْرِ بِئْرٍ فَحَفَرَا ، حَتَّى إِذَا حَفَرَا فَبَلَغَا الْمَاءَ وَضَعَ فَمَهُ عَلَى الصُّنْدُوق وَقَالَ: أَيُّهَا الصُّنْدُوقُ ، قَدْ بَلَغَنَا عَنْكَ شَيْءٌ ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَقَدْ دَفَنَّا خَبَرَكَ وَدَرَسْنَا أَثَرَكَ ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا فَمَا عَلَيْنَا فِي دَفْنِ صُنْدُوقٍ مِنْ خَشَبٍ. وَخَرَجَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ بِهِ فِي الْحُفْرَةِ ، وَأَمَرَ بِالْخَادِمِ فَقُذِفَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَوْقَهُ وَطَمَّ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا التُّرَابَ. قَالَ: فَكَانَتْ أُمُّ الْبَنِينَ تُوجَدُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ تَبْكِي إِلَى أَنْ وُجِدَتْ فِيهِ يَوْمًا مَكْبُوبَةً عَلَى وَجْهِهَا مَيِّتَةً ف"الوليد بن عبد الملك"خليفة المسلمين و"أم البنين"زوجه و"وضاح اليمن"شاعر مشهور كلها شخصيات مرجعية مسجلة في كتب التاريخ بما اشتهر عنها من فعال.

تلك بعض الشخصيات الواقعية الواردة في "اعتلال القلوب"وهناك المئات من الشخصيات التي روى عنها "الخرائطي"أخبارا واقعية زخرت بها كتب التاريخ .

واقعية الأحداث

أما الأحداث الواقعية التي صورتها أخبار الكتاب فهي ترصد الواقع السياسي والاجتماعي والأدبي للحياة آن ذاك.

فمن تصوير الواقع السياسي الإجتماعيفي أخبار "اعتلال القلوب"

ومن تصوير الواقع الاجتماعي في "اعتلال القلوب":حال جنود البعث الذي كان يضرب على الجند لحماية الثغور من هجمات الأعداء حيث كان الجندي يمكث فيه مددا طويلة تشق عليه وعلى أهله من ذلك الخبر الذي رواه"الخرائطي"عن جندي حديث عرس بابنة عمه أتى "بشر بن مروان"(١) معتذرا.

يقول "الخرائطي" (٢):

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زَيْدٍ الْبَصْرِيُّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، كَانَ إِذَ ضَرَبَ الْبَعْثَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ ثُمَّ وَجَدَهُ قَدْ أَخَلَّ بِمَرْكَزِهِ أَقَامَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ ثُمَّ سَمَّرَ يَدَيْهِ فِي الْحَائِطِ ثُمَّ انْتَزَعَ الْكُرْسِيَّ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ ، فَلَا يَزَالُ يَنْشَحِطُ حَتَّى يَمُوتَ ، وَإِنَّهُ ضَرَبَ الْبَعْثَ عَلَى رَجُلٍ حَدِيثِ عَهْدٍ بِعُرْسِ ابْنَةِ عَمِّهِ ، فَلَمَّا صَارَ فِي مَرْكَزِهِ كَتَبَ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ كِتَابًا ثُمَّ كَتَبَ فِي أَسْفَلِهِ:[البحر البسيط]

لَوْلَا مَخَافَةُ بِشْرٍ أَوْ عُقُوبَتِهِ ... وَأَنْ يَرَى حَاسِدِي كَفِّي بِمِسْمَارِ
إِذًا لَعَطَّلْتُ ثَغْرِي ثُمَّ زُرْتُكُمُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا مَا اشْتَاقَ زَوَّارُ

قَالَ: فَوَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى ابْنَةِ عَمِّهِ فَأَجَابَتْهُ عَنْ كِتَابِهِ فِي أَسْفَلِهِ

١- بشر بن مروان أمير العراقين بعد مصعب بن الزبير توفي سنة أربع وسبعين.".ينظر:العبر ٦٣/١..

٢- "اعتلال القلوب برقم٧١٤ ٣٤٧/٢.

لَيْسَ الْمُحِبُّ الَّذِي يَخْشَى الْعِقَابَ وَلَوْ ... كَانَتْ عُقُوبَتُهُ مِنْ فَجْوَةِ النَّارِ
بَلِ الْمُحِبُّ الَّذِي لَا شَيْءَ يُفْزِعُهُ ... أَوْ يَسْتَقِرُّ وَمَنْ يَهْوَاهُ فِي الدَّارِ
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهَا قَالَ: لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ هَذَا ، وَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَأَتَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ فِي وَقْتِ غَدَائِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غَدَائِهِ أُدْخِلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى تَعْطِيلِ ثَغْرِكَ؟ أَمَا سَمِعْتَ نِدَاءَنَا وَإِيعَادَنَا؟ فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ عُذْرِي ، فَإِمَّا عَفَوْتَ وَإِمَّا عَاقَبْتَ قَالَ: وَيْلَكَ ، وَهَلْ لِمِثْلِكَ مِنْ عُذْرٍ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَقِصَةَ ابْنَةِ عَمِّهِ ، فَقَالَ: أَوْلَى لَكَ ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ ، حُطَّ اسْمَهُ مِنَ الْبَعْثِ ، وَأَعْطِهِ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، الْحَقْ بِابْنَةِ عَمِّكِ

فقد سرح "بشر بن مروان"ذلك الجندي رأفة به وبزوجه مراعاة للظروف الاجتماعية التي اكتنفت هذه الشخصيات.

ومن تصوير واقع الحياة الأدبية حتى بدايات القرن الرابع الهجري ما كان يعقد من مجالس أدبية .

فقصور الخلفاء عامرة بمجالس الأدب على رأسها الخلفاء أنفسهم يقرضون الشعر ويثيبون الشعراء على قرضه فنجد"الرشيد"يجزل العطاء للشاعر الذي يصيب ما في نفسه ويجيد التعبير عنه شعرا فقد روى "الخرائطي"خبره مع "الأصمعي"و"الشطرنجي"حيث تنافسا على إصابة ما بنفسه من حب"عنان"فسبقهما.

قال"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا الرَّبَعِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ الرَّشِيدُ يَهْوَى عَنَانَ جَارِيَةَ الْعَاطِفِيِّ ، وَكَانَتْ صِيَانَتُهُ لِنَفْسِهِ تَمْنَعُهُ مِنْهَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ مُبْتَذِلًا الْإِمْرَةَ ، فَإِنِّي دَخَلْتُ إِلَيْهِ وَفِي وَجْهِهِ تَخَثُّرٌ

١- "اعتلال القلوب برقم ٨٣١ ٣٩٦/٢.

وَعِنْدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الشِّطْرَنْجِيُّ ، فَقَالَ لَنَا: اسْتَجْمِعُوا بِنَا ، فَمَنْ أَصَابَ مَا فِي نَفْسِي فَلَهُ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَوَقَعَ بِقَلْبِي أَنَّهُ يُرِيدُ عَنَانَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بِجُرْأَةِ الْعِمْيَانِ: [البحر الخفيف]

مَجْلِسٌ يُنْسَبُ السُّرُورُ إِلَيْهِ ... لِمُحِبٍّ رَيْحَانَةَ ذَاكِرَاكِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: لِمَ أُحْرَمْ أَنَا ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَقُولُ أَنَا ، قَالَ: قُلْ ، فَقُلْتُ: [البحر الخفيف]

لَمْ يَنَلْكِ الرَّجَاءُ أَنْ تَحْضُرِينِي ... وَتَجَافَتْ أُمْنِيَّتِي عَنْ سِوَاكِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَنْتَ أَتَيْتَ بِمَا أَرَدْتُ ، فَلَكَ عِشْرُونَ أَلْفًا ، ثُمَّ أَطْرَقَ سَاعَةً فَقَالَ: أَنَا أَشْعَرُ مِنْكُمَا ، قَدْ قُلْتُ: [البحر الخفيف]

فَتَمَنَّيْتُ أَنْ يُعِيشَنِي اللَّـ ... ـهُ طَوِيلًا فَلَعَلَّ عَيْنَيَّ تَرَاكِ

حتى النساء وعلى سبيل التحديد الجواري اللواتي كن يقرضن الشعر أقمن مجالس أدبية على حظ موفور من الأهمية منها ما رواه"الخرائطي"في خبر عن "عنان "جارية "الناطفي"ورجل بدوي اتفقا على التناوب في قرض الشعر حيث ارتج عليها فأسعفها "أبو مالك الرقاشي".

يقول"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَارَسْتَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ صَغِيرٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الرَّقَاشِيِّ قَالَ: قَصَدْتُ عَنَانَ جَارِيَةَ النَّاطِقِيِّ ، فَصَادَفْتُ عِنْدَهَا شَيْخًا أَعْرَابِيًّا بَدَوِيًّا ، فَقَالَتِ: الْحَمْدُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ عَلَى فَاقَةٍ ، إِنَّ هَذَا الْبَدَوِيَّ قَصَدَنِي لِأَنْ أَقُولَ بَيْتًا ، وَيَقُولُ بَيْتًا وَقَدْ وَاللَّهِ أُرْتِجَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ: أَقُولُ؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُحْسِنُ الشِّعْرَ فَقُلْ ، فَقُلْتُ: [البحر الوافر]

لَقَدْ قَلَّ الْعَزَاءُ وَعِيلَ صَبْرِي ... عَشِيَّةَ عِيرِهِمْ لِلْبَيْنِ زُمَّتْ

١- "اعتلال القلوب برقم ٦٧١ ٣٢٨/٢سابعا: تنوع المادة السردية.

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:[البحر الوافر]

نَظَرْتُ إِلَى أَوَاخِرِهَا ضَحِيًّا ... وَقَدْ رُفِعَتْ لَهَا عَصَبٌ فَرَنَّتْ

فَقَالَتْ: [البحر الوافر]

كَتَمْتُ هَوَاكُمُ فِي الصَّدْرِ مِنِّي ... عَلَى أَنَّ الدُّمُوعَ عَلَيَّ نَمَّتْ

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: أَنْتِ وَاللَّهِ أَشْعُرُ الثَّلَاثَةِ ،.

هكذا كان الشعر يُقرض ويستنشد في المجالس الأدبية على اختلاف مستويات القائمين عليها من خلفاء أو رجال دولة أو أناس عاديين.

هذا وإن اتسمت الكثير من أخبار"اعتلال القلوب "بالواقعية فإن بعضا آخر ينزع نزوعاً غرائبياً اعتمد فيه "الخرائطي"على ذكر بعض الأمور العجيبة ، البعيدة التصديق عن الأذهان ، ولعل استحضاره لهذه الأمور إنما يأتي بدافع امتاع القارئ وتنشيط ذاكرته.

وتتجلى الغرائبية في أخبار "اعتلال القلوب" وفق أشكال متعددة

الحديث عن الجن والشياطين ومن ذلك ما يروي "الخرائطي"عن خبر هروب بعض خدم "سليمان"عليه السلام من الجن بخاتمه بعد استرضائه زوجه .

يقول"الخرائطي"(١):

– حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: " كَانَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ مَلِكٌ عَظِيمُ السُّلْطَانِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ يَدْعُوهُ إِلَى مَا قِبَلَهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ لِعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالرِّيحِ فَنَسَفَتْهُ الرِّيحُ وَمُلْكَهُ وَجَمِيعَ مَا قِبَلِهِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ ابْنَةٌ تُدْعَى أَبْرَهَةُ، فَأُعْجِبَ سُلَيْمَانُ بِهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهَا

١– "اعتلال القلوب برقم ٦٢٣ ١/١١٧.

الْإِسْلَامَ فَكَرِهَتْهُ، فَخَوَّفَهَا بِالْقَتْلِ فَأَصَرَّتْ، فَخَوَّفَهَا بِقَتْلِ أَبِيهَا، فَقَالَتْ: إِنْ قَتَلْتَهُ قَتَلْتُ نَفْسِي، فَخَافَ سُلَيْمَانُ إِنْ أَكْرَهَهَا فَتَقْتُلَ نَفْسَهَا، وَأَحَبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِهَا ،وتَرَكَهَا، فَلَمَّا غَلَبَتْهُ فَتَزَوَّجَهَا، وَكَانَتْ تَعْتَكِفُ عَلَى صَنَمٍ مِنْ يَاقُوتٍ، وَكَانَ الصَّنَمُ مِنَ الْفَيْءِ الَّذِي نَسَفَتْهُ الرِّيحُ، فَسَأَلَتْهُ سُلَيْمَانَ فَوَهَبَهُ لَهَا، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا، وَكَانَ يَرْفُقُ بِهَا وَيَتَوَدَّدُهَا رَجَاءَ أَنْ تُسْلِمَ، فَظَلَّ مَعَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَاعْتَنَقَتْهُ وَقَالَتْ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَيَاتِي وَبِحُبِّي وَبِحَقِّي إِلَّا مَا جَزَرْتَ لِإِلَهِي قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي، وَمَا زِيَارَتِي إِيَّاكِ وَأَنْتِ مُعْتَكِفَةٌ عَلَى الشِّرْكِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ تُسْلِمِي، ثُمَّ قَالَتْ: لَئِنْ لَمْ تَجْزُرْ لَأَقْتُلَنَّ نَفْسِي، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَعْلِيمِ أَبِيهَا، فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ قَوْلَهَا خَافَهَا عَلَى نَفْسِهَا وَخَدَعَهَا، وَقَالَ: إِنِّي إِنْ أَجْزَرْتُ لِصَنَمِكِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ خَلَعْتُ مُلْكِي، وَانْخَلَعْتُ مِنْ دِينِي قَالَتْ: فَإِنِّي قَدْ حَلَفْتُ بِإِلَهِي: لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَأَقْتُلَنَّ نَفْسِي، وَأُبْرِزَ يَمِينِي، فَدَعَى سُلَيْمَانُ بِجَرَادَةٍ وَسِكِّينٍ، فَذَبَحَهَا، فَسَاعَةَ قَطَعَ رَأْسَهَا أَنْكَرَ نَفْسَهُ وَأَنْكَرَتْهُ هِيَ، وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ هَيْبَةُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، فَوَجَدَ خَدَمًا لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ قُعُودًا عَلَى مِنْبَرِهِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يُرَامُ، وَوَجَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَشْبَهَ النَّاسِ صُورَةً بِهِ. فَيُقَالُ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} قَالَ: ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ خَادِمٌ مِنَ الْجِنِّ فَاسْتَلَّ خَاتَمَهُ مِنْ أُصْبُعِهِ وَأَبَقَ بِهِ، وَكَانَتِ الْجِنُّ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَرِمُونَهُ، فَلَمَّا أَخَذَ الْجِنِّيُّ الْخَاتَمَ وَكَانَ عِفْرِيتًا مَارِدًا رَأَى فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: مَا أَخَذْتُ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ وَلَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا بِذَنْبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا آمَنُ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مُلْكَهُ، فَلَأَطْرَحَنَّ هَذَا الْخَاتَمَ طَرْحًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَبَدًا، ثُمَّ انْطَلَقَ سَرِيعًا بِالْخَاتَمِ فَأَلْقَاهُ فِي اللُّجَّةِ الْخَضْرَاءِ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِمَ ذَبَحْتَ

الْجَرَادَةَ الَّتِي قَرَّبْتَهَا؟ إِلَيَّ أَمْ لِامْرَأَتِكَ؟ فَلَئِنْ كُنْتَ ذَبَحْتَهَا لِي فَقَدْ صَغُرَتْ، وَأَمْرِي مَا سَبَقَكَ إِلَى ذَلِكَ أَحَدٌ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُذْبَحُ إِلَّا ذَاتُ رُغَاءٍ أَوْ خُوَارٍ أَوْ ثُغَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ ذَبَحْتَهَا لِصَنَمِ امْرَأَتِكَ فَلَا قَلِيلَ مِنَ الْعِزَّةِ بِي، أَمَا كَفَاكَ أَنَّكَ تَزَوَّجْتَهَا وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَلَمْ أُعَاتِبْكَ فِيهَا ،فَلَمَّا فَرَغَ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ شَذَّ مِنْ أَهْلِهِ مَرْعُوبًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، يُغَيِّرُ كَمَا تُغَيِّرُ الدَّابَّةَ، يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ، وَيُعَدِّدُ عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ، فَلَمَّا أُخْبِرَتِ امْرَأَتُهُ بِالَّذِي أَصَابَهُ فِي سَبَبِهَا أَحْزَنَهَا ذَلِكَ وَأَبْكَاهَا، فَأَسْلَمَتْ رَجَاءَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ مُلْكَهُ، فَلَمَّا مَضَتْ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَغَفَرَ لَهُ وَانْصَرَفَ وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْجُوعُ، فَمَرَّ بِسَاحِلِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ، وَإِذَا بِحُوتٍ يَضْطَرِبُ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْحُوتِ فَأَخَذَهُ لِيَأْكُلَهُ، فَلَمَّا فَرَى بَطْنَهُ وَجَدَ فِيهِ خَاتَمَهُ فَازْدَادَ بِذَلِكَ خَوْفًا وَعَجَبًا وَوَجَلًا، فَلَبِسَ خَاتَمَهُ فَأَعَادَ اللَّهُ مُلْكَهُ "

فهروب الجني خادم سليمان بخاتمه يعد من الأمور العجائبية التي تدهش القارئ وبغض النظر عن صحة هذا الخبر فهو من الأمور الغريبة التي تثير الفضول لمتابعة القراءة بغية التعرف على نهايةالخبر .

أفعال الحيوان

ومما يدعو إلى العجب والاستغراب بعض أفعال الحيوانات وقد أورد "الخرائطي"خبرا في "اعتلال القلوب"عن قرود باليمن يرمون قردة رجما بالحجارة لوقوعها في الفاحشة فاشترك الراوي معهم في الرجم.

يقول"الخرائطي" (١)

حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، أَنَّ ابْنَ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا [ص:٩٥] حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: «زَنَتْ

١- "اعتلال القلوب برقم 181/1 94.

قِرَدَةٌ بِالْيَمَنِ فَرَجَمَهَا الْقُرُودُ، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ: فهذا أمر بعيد عن التصديق ولذلك قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ: لَوْ غَيْرُ حُصَيْنٍ حَدَّثَنِي مَا صَدَّقْتُ وعلى كل حال فهذه الأخبار قليل من كثير.

خامسا:التناص

من أجلى سمات الخطاب السردي في كتاب "اعتلال القلوب"التناص بمعنى:" " تقاطع داخل النص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى"(١)

وقد تبلور التناص في أخبار متعددة بأشكال مختلفة منها الخارجي مع نصوص من خارج الكتاب ومنها الداخلي مع أخبار داخل الكتاب.:

التناص الخارجي

تناصت أخبار "اعتلال القلوب "مع نصوص متعددة دينية وأدبية فضلا عن التناص التاريخي حيث زخرت كتب التاريخ بالكثير من أخبار الكتاب وما كان هدف التناص إلا دفع الملل ورغبة في تثقيف القارئ وتوسيع إطلاعه .

فمن آيات كتاب الله المتناص معها في أخبار "اعتلال القلوب"آية الحجاب التي تلاها"أبو حازم"٢))للاحتجاج بها على المرأة السافرة التي تبغي فتنة ضعاف القلوب يقول رب العزة{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}٣)) قال "الخرائطي"(٤):

١- علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة : فريدة الزاهي – مراجعة : عبد الجليل ناظم ، ص٢١،دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١.

٢- "أبو حازم سلمة بن دينار المدني الأعرج. عالم أهل المدينة وزاهدهم وواعظهم. سمع سَهل بن سَعد وطائفة. وكان أشقر فارسياً. وأمه رومية. وولاؤه لبني مخزوم. وكان ثقة لم يكن في زمانه مثله. له حكم ومواعظ.توفي سنة تسع وقثلاثين ومئة.ينظر: العبر١/٦١٤.

٣- "جزء من آية ٣١ سورة النور.

٤- "اعتلال القلوب برقم ٢٩٦ ١/١٤٨.

حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ عِيسَى الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْخُنَيْسِ قَالَ: خَرَجَ أَبُو حَازِمٍ يَرْمِي الْجِمَارَ وَمَعَهُ قَوْمٌ مُتَعَبِّدُونَ وَهُوَ يُكَلِّمُهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي وَأُولَئِكَ مَعَهُ إِذْ نَظَرُوا إِلَى فَتَاةٍ مُسْتَتِرَةٍ بِخِمَارِهَا، وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ عَلَى نَحْرِهَا مِنْهُ شَيْءٌ تَرْمِي النَّاسَ بِطَرْفِهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَقَدْ شَغَلَتِ النَّاسَ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مَبْهُوتِينَ، وَقَدْ خَبَطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الطَّرِيقِ، فَرَآهَا أَبُو حَازِمٍ، فَقَالَ: يَا هَذِهِ، اتَّقِي اللَّهَ، إِنَّكِ فِي مَشْعَرٍ مِنْ مَشَاعِرِ اللَّهِ عَظِيمٍ، وَقَدْ فَتَنْتِ النَّاسَ، فَاضْرِبِي بِخِمَارِكِ عَلَى جَيْبِكِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] ، فَأَقْبَلَتْ تَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِ، وَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ يَا فَذْرُ مِنَ اللَّائِي لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حَجَّةً، وَلَكِنْ لِيَقْتُلْنَ الْبَرِيءَ الْمُغَفَّلَا، فَأَقْبَلَ أَبُو حَازِمٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، تَعَالَوْا نَدْعُ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ هَذِهِ الصُّورَةَ الْحَسْنَاءِ بِالنَّارِ، فَجَعَلَ يُدْعُو وَأَصْحَابُهُ يُؤَمِّنُونَ "

فالمرأة السافرة التي فتنت الحجيج دعت "أبا حازم"ليقيم عليها الحجة من كتاب الله بهذه الآية الكريمة.

ومن نماذج التناص مع الشعر ما وظفته إحدى شخصيات الأخبار في سياق الحدث الخبر الذي رواه"الخرائطي"عن "الحكم بن صخر الثقفي"الذي مر في طريق الحج بجاريتين أحب إحداهما وإذا به في العام التالي يمر بنفس الطريق ليصادف الأخرى التي أحبته فاعتذر ببيت ل"كثير عزة"يؤكد فيه أن الحب لا ينسى فحاججته الجارية ببيت آخر للشاعر نفسه يؤكد فيه أن الحب لا ينسى إلا بحب آخر.

يقول"الخرائطي"١)):

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ صَخْرٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ حَاجًّا ، فَلَمَّا نَزَلْتُ إِمْرَةً وَإِذَا بِجَارِيَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا سُرَيْحَتَا قَزٍّ ، فَقَصَّرَتَا عَلَيَّ تُومِئُ بِحَدِيثٍ وَشِعْرٍ فَوَصَلْتُهُمَا ، فَلَمَّا كَانَ عَامُ قَابِلٍ حَجَجْتُ فَأَصَابَتْنِي فِي الطَّرِيقِ عِلَّةٌ فَنَصَلَ عَنِّي الْخِضَابُ ، فَلَمَّا نَزَلْتُ إِمْرَةً إِذَا أَنَا بِإِحْدَاهُمَا ، فَقُلْتُ لَهَا: أَتَعْرِفِينِي؟ قَالَتْ: مَا أُنْكِرُكَ مِنْ سُوءٍ قَالَ: لَقَدْ أَنْكَرْتِينِي وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَاكَ عَامَ أَوَّلَ مَمْلُوكًا ، وَأَرَاكَ الْيَوْمَ شَيْخًا مَلِكًا ، وَفَى دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْفَتَاةُ. فَقُلْتُ: أَنَا الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ الثَّقَفِيُّ ، مَا فَعَلَتْ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: قَدِمَ عَلَيْهَا ابْنُ عَمٍّ لَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا فَأَخَذَ بِهَا ، فَقُلْتُ: لَوْ أَدْرَكْتُهَا لَتَزَوَّجْتُهَا قَالَتْ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ شَقِيقَتِهَا فِي حُسْنِهَا ، وَنَظِيرَتِهَا فِي حَسَبِهَا؟ قُلْتُ: مَا قَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قُلْتُ: قَالَ: [البحر الطويل]

إِذَا وَصَلَتْنَا خَلَّةٌ كَيْ تُزِيلَهَا ... أَبَيْنَا وَقُلْنَا: الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

قَالَتْ: فَكُثَيِّرٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَقُلْتُ: وَمَا قَالَ كُثَيِّرٌ؟ قَالَتْ: قَالَ: [البحر البسيط]

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إِلَّا وَصْلُ غَانِيَةٍ ... فِي وَصْلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا خَلَفُ

ثُمَّ أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهٍ كَأَنَّهُ فَلْقَةُ قَمَرٍ ، فَبُهِتُّ نَحْوَهَا ، فَمَا مَنَعَنِي مِنْ جَوَابِهَا إِلَّا الْعِيُّ هكذا وظفت الشخصيات الشعر في سياق الأحداث لتعبر عن وجهة نظرها في ثوب أدبي وأسلوب فني.

أما الأمثال فهي واحدة من الفنون الأدبية التي تناصت معها بعض أخبار "اعتلال القلوب"وكان لها نصيباً في الحضور ، ومن ذلك ما

١- "اعتلال القلوب برقم ٥٥٣ ٢/٢٨١.

رواه"الخرائطي"في خبر عن"الحارث الأسدي"الذي تزوج "الرباب"ابنة "علقمة الطائي"على كره منها رغبة في الشباب الذين فتنت بهم.

قال"الخرائطي"(١):

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ كِنْدَةَ، قَالَ: خَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ السَّلِيلِ الْأَزْدِيُّ زَائِرًا لِعَلْقَمَةَ بْنِ جَرِيرٍ الطَّائِيِّ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُ، فَنَظَرَ إِلَى ابْنَةٍ لَهُ تُدْعَى الرَّبَابُ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ فَأُعْجِبَ بِهَا، وَعَشِقَهَا عِشْقًا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: أَتَيْتُ خَاطِبًا، وَقَدْ يُنْكَحُ الْخَاطِبُ، وَيُدْرَكُ الطَّالِبُ، وَيُمْنَعُ الرَّاغِبُ قَالَ: " أَنْتَ امْرُؤٌ كُفُؤٌ كَرِيمٌ، فَأَقِمْ نَنْظُرْ فِي أَمْرِكَ، ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى أُمِّ الْجَارِيَةِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ الْحَارِثَ سَيِّدُ قَوْمِهِ حَسَبًا وَمَنْصِبًا وَبَيْتًا، فَلَا يَنْصَرِفَنَّ مِنْ عِنْدِنَا إِلَّا بِحَاجَتِهِ، فَأَرِيدِي ابْنَتَكِ عَنْ نَفْسِهَا فِي أَمْرِهِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَيْ بُنَيَّةُ، أَيُّ الرِّجَالِ أَعْجَبُ إِلَيْكِ؟ الْكَهْلُ الْحَجْحَاجُ الْفَاضِلُ الْمَيَّاحُ أَمِ الْفَتَى الْوَضَّاحُ الْمَلُولُ الطَّمَّاحُ؟ قَالَتْ: الْفَتَى الْوَضَّاحُ، فَقَالَتْ: إِنَّ الْفَتَى الْوَضَّاحَ يُغَيِّرُكِ، وَإِنَّ الشَّيْخَ يُمِيرُكِ، وَلَيْسَ الْكَهْلُ الْفَاضِلُ الْكَثِيرُ النَّائِلُ كَالْحَدَثِ السِّنِّ الْكَثِيرِ الْمَنِّ. قَالَتْ: يَا أُمَّتَاهُ، أُحِبُّ الْفَتَى كَحُبِّ الرِّعَاءِ أَنْيَقَ الْكَلَأَ قَالَتْ: أَيْ بُنَيَّةُ، إِنَّ الْفَتَى شَدِيدُ الْحِجَابِ كَثِيرُ الْعِتَابِ قَالَتْ: يَا أُمَّتَاهُ، أَخْشَى مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يُدَنِّسَ أَثْوَابِي وَيَبْلِيَ شَبَابِي، وَيُشْمِتَ بِي أَتْرَابِي، فَلَمْ تَزَلْ بِهَا أُمُّهَا حَتَّى غَلَبَتْهَا عَلَى رَأْيِهَا، فَتَزَوَّجَهَا الْحَارِثُ عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ وَخَادِمٍ وَأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَبَنَى بِهَا، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَحَبِّ مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَارْتَحَلَ بِهَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِنَّهُ لَجَالِسٌ ذَاتَ يَوْمٍ بِفِنَاءِ مِظَلَّتِهِ، وَهِيَ إِلَى جَانِبِهِ، إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ يَعْتَلِجُونَ الصِّرَاعَ، فَتَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ ثُمَّ أَرْسَلَتْ عَيْنَيْهَا

١- "اعتلال القلوب برقم ٣١٦ ١/١٥٦.

بِالْبُكَاءِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: مَا لِي وَلِلشُّيُوخِ النَّاهِضِينَ كَالْفُرُوخِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ، قَدْ تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا، فَصَارَتْ مَثَلًا، أَيْ لَا تَكُونُ ظِئْرًا، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَطَقَ بِهَا. "

فالمثل "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها"يثري الخبر فنيا ويسهم في التثقيف المعرفي لدى القارئ.

التناص الداخلي

تناصت أخبار "اعتلال القلوب"داخليا على مستوى الشخصية والحدث والمكان والزمان وذلك أمر مقبول حيث نقل "الخرائطي"أخبار شخصيات تاريخية تصنع أحداث محكومة بإطار ديني واجتماعي بأمكنة مألوفة وفي ظل فترات زمنية متعارف عليها.

تناص الحدث

تتناص الأحداث مع تغير الشخصيات حين تتشابه الوقائع في أخبار"اعتلال القلوب"لكن لا نشعر بالملل بل على العكس نعجب لذلك التاريخ الذي يعيد نفسه فتفقد الخليفة لأحوال رعيته ليلا وسماعه شكوى مرأة مغيبة لكون زوجها في البعث حادثة متكررة يتعامل معها أولو الأمر بما فيه مصلحة المرأة.

فالخليفة"عمر ابن الخطاب"يتفقد أحوال رعيته ليلا فيسمع ما تنشده امرأة من شعر تبثه زفرات الشوق وأنات الحنين ومغالبة الهوى بمراقبة اللهفيسأل عن حالها ويعلم أنها مغيبة فيبعث إليها بنفقة ويأذن لزوجها في القدوم عليها.

يقول"الخرائطي" (١):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ الْقَنْطَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ لَيْلَةً وَهُوَ يَحْرُسُ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ:[البحر الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاخْضَلَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي إِذْ لَا خَلِيلَ أُلَاعِبُهْ

وَأُقْسِمُ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ ... لَحُرِّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهْ

أُرَاقِبُ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَكُفُّنِي ... وَأُكْرِمُ زَوْجِي أَنْ تُرَامَ مَرَاكِبُهْ

ثُمَّ تَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَتْ: لَأَهْوَنُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَا لَقِيتُ اللَّيْلَةَ. فَسَأَلَ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ مُغِيبَةٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ ثُمَّ أَذِنَ لِزَوْجِهَا فَقَدِمَ عَلَيْهَا " ويتناص مع ذلك الحدث حدث آخر وقع لأمير المؤمنين "عبد الملك بن مروان" فيأمر بأن لا يقيم الرجل في البعث أكثر من ستة أشهر بعد سماعه امرأة تشتكي إلى الله غيبة زوجها.

يقول"الخرائطي" (٢):

حَدَّثَنَا الرَّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ هِشَامٍ الْكَلْبِيُّ قَالَ ضَرَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَعْثًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَأَقَامُوا سِنِينَ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ بِدِمَشْقَ قَالَ: وَاللَّهِ لَأُعِسَنَّ اللَّيْلَةَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ ، وَلَأَسْمَعَنَّ النَّاسَ مَا يَقُولُونَ فِي الْبَعْثِ الَّذِي أَغْرَبْتُ فِيهِ رِحَالَهُمْ ، وَأَغْرَمْتُ فِيهِ أَمْوَالَهُمْ ، فَبَيْنَا هُوَ فِي بَعْضِ أَزِقَّتِهَا إِذَا هُوَ بِصَوْتِ امْرَأَةٍ قَائِمَةٍ تُصَلِّي ، فَتَسَمَّعَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ إِلَى مَضْجَعِهَا قَالَتْ: اللَّهُمَّ يَا غَلِيظَ الْحِجَابِ ، وَيَا مُنْزِلَ الْكُتُبِ ، وَيَا مُعْطِيَ

١- "اعتلال القلوب برقم ٣٩٩ ١/١٩١.

٢- "اعتلال القلوب برقم٦٠٧ ٢/٣٠٢.

الرُّعْب، وَيَا مُرَوِّيَ الْعَرَبِ ، وَيَا مُسَيِّرَ النُّجُبِ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَدِّيَ غَايَتِي فَتَكْشِفَ بِهِ هَمِّي ، وَتُصَفِّيَ بِهِ لَذَّتِي ، وَتُقِرَّ بِهِ عَيْنِي ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، الَّذِي فَعَلَ بِنَا هَذَا ، فَقَدْ صَيَّرَ الرَّجُلَ نَازِحًا ، وَالْمَرْأَةَ مُتَقَلْقِلَةً عَلَى فِرَاشِهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:[البحر الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ ... وَأَرَّقَنِي حُزْنٌ بِقَلْبِي يُوجِعُ

فَبِتُّ أُقَاسِي اللَّيْلَ أَرْعَى نُجُومَهُ ... وَبَاتَ فُؤَادِي غَائِبًا يَتَفَزَّعُ

إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوْكَبٌ فِي مَغِيبِهِ ... لَمَحْتُ بِعَيْنَيَّ آخَرًا حِينَ يَطْلُعُ

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... وَجَدْتُ فُؤَادِيَ لِلْهَوَى يَتَقَطَّعُ

وَكُلُّ حَبِيبٍ ذَاكِرٌ لِحَبِيبِهِ ... يُرَجِّي لِقَاهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَطْمَعُ

فَذَا الْعَرْشِ فَرِّجْ مَا تَرَى مِنْ صَبَابَتِي ... فَأَنْتَ الَّذِي تَرْعَى أُمُورِي وَتَسْمَعُ

دَعَوْتُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضُّرِ دَعْوَةً ... عَلَى غُلَّةٍ بَيْنَ الشَّرَاسِيفِ يَلْذَعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَاجِبِهِ: تَعْرِفُ هَذَا الْمَنْزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ ، هَذَا مَنْزِلُ يَزِيدَ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: فَمَا الْمَرْأَةُ مِنْهُ؟ قَالَ: زَوْجَتُهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ: كَمْ تَصْبِرُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا؟ قَالُوا: سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَأَمَرَ أَلَّا يَمْكُثَ الْعَسْكَرُ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ

تناص الزمان

هناك أزمنة معينة كان لها حضورا تناصيا في أخبار"اعتلال القلوب"منها لحظة الاحتضار فقد سرد "الخرائطي ما تفاصيل تلك اللحظة عند "جميل بن معمر"

يقول"الخرائطي"(١)

حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ عِيسَى الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ، إِذْ لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ

١- "اعتلال القلوب برقم 1 84/156.

أَصْحَابِي، فَقَالَ لِي: هَلْ لَكَ فِي جَمِيلٍ فَإِنَّهُ ثَقِيلٌ تَعُودُهُ؟ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، وَمَا يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ الْمَوْتَ يَكْرُبُهُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ سَهْلٍ، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ قَطُّ، وَلَمْ يَزْنِ، وَلَمْ يَقْتُلْ نَفْسًا، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قُلْتُ: أَظُنُّهُ قَدْ نَجَا، وَأَرْجُو لَهُ الْجَنَّةَ، فَمَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَنَا. قُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَحْسِبُكَ سَلِمْتَ وَأَنْتَ تُشَبِّبُ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً بِبُثَيْنَةَ، فَقَالَ: لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنِّي فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَآخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، إِنْ كُنْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهَا لِرِيبَةٍ، فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى مَاتَ "

فهو في هذه اللحظة العصيبة يلخص قصة حبه التي لم يشبها محرم قط راجيا أن تكون الجنة جزاء عفافه في ذلك الحب.

وهذه لحظة احتضار أخرى نزلت ب"يزيد بن عبد الملك"بعد وفاة جاريته"حبابة"التي حزن لفراقها حتى مات فجعا.

يقول"الخرائطي"(١):

فهي لحظة احتضار مختلفة عن سابقتها رغب فيها "يزيد "عن الدنيا ففارقها مكفنا بدموع الحزن على جاريته.

وتتناص لحظة احتضار "عبد الرحمن بن الحارث "مع سابقتها مع التغيير في تفاصيلها حيث كان المحتضر متعلقا من الدنيا بزوجه التي خاف أن تتزوج بعده فم يطمأن حتى حلفت له أن لا تفعل ذلك.

يقول"الخرائطي"(٢)

١- "اعتلال القلوب برقم 195/١402.

٢- "اعتلال القلوب برقم 1 232/451.

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ هِشَامٍ الْكَلْبِيُّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرِمَةَ: " دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَرْثِ بْنِ هِشَامٍ أَعُودُهُ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُنِي وَاللَّهِ لِلْمَوْتِ، وَمَا مَوْتِي بِأَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أُمِّ هِشَامٍ، أَخَافُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدِي، فَحَلَفَتْ لَهُ أَنَّهَا لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ، فَغَشِيَ وَجْهَهُ نُورٌ، ثُمَّ قَالَ: الْآنَ، فَلْيَنْزِلَنَّ الْمَوْتُ مَتَى شَاءَ. ثُمَّ مَاتَ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجَتْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقُلْتُ: [البحر الطويل]

فَإِنْ لَقِيَتْ خَيْرًا فَلَا يَهْنِيَنَّهَا ... وَإِنْ تَعِسَتْ فَلِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

قَالَ: فَبَلَغَهَا ذَلِكَ، فَكَتَبَتْ إِلَيَّ: قَدْ بَلَغَنِي مَا تَمَثَّلْتَ بِي، وَمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أَخِيكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: [البحر الطويل]

وَهَلْ كُنْتَ إِلَّا وَالِهًا ذَاتَ تَرْحَةٍ ... قَضَتْ نَحْبَهَا بَعْدَ الْحَنِينِ الْمُرَجِّعِ

فَدَعْ ذِكْرَ مَنْ قَدْ وَارَتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ ... فَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتِ الْأَرْضُ مَقْنَعُ

قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنِّي كُلَّ غَيْظٍ، فَحَسِبْتُ حِسَابَهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ عَجَّلَتْ وَبَقِيَ عَلَيْهَا مِنْ عِدَّتِهَا أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، فَدَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ فَأَعْلَمْتُهُ فَانْتَقَضَ النِّكَاحُ وَعُزِلَ عُمَرُ عَنِ الْمَدِينَةِ "

هكذا تتناص لحظات الاحتضار في أخبار"اعتلال القلوب"في أحداث تختلف تفاصيلها لتمثل أحوال المحتضرين.

هذه هي بعض السمات التي تميز بها السرد في "اعتلال القلوب ولعل هناك المزيد قصر عنه القلم.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة تبين ما يلي:

١-صلاحية أخبار "اعتلال القلوب"للدراسة السردية حيث توافرت مكونات السرد في أخباره.

٢-توزع الخطاب السردي في أخبار "اعتلال القلوب"بينالذاتية والموضوعية.

٣-تنوع الرواة لأخبار"اعتلال القلوب"بين راوٍ عليم وآخر مشارك وثالث مشاهد على حين اقتصر المروي له على ما كان ظاهريا في بعض الأخبار .

٤-كانت شخصيات أخبار"اعتلال القلوب"في الأغلب شخصيات مرجعية نامية مقدمة بطريقة التمثيل لا التحليل.

٥-عرضت أحداث أخبار "اعتلال القلوب"بشكل متتابع متسلسل بعيدا عن الدائرية والتضمين إلا فيما ندر.

٦-اعتمدت أخبار"اعتلال القلوب"على تقنيات سردية زمنية كالاسترجاع والاستباق والخلاصة والحذف بهدف إثارة المتلقي ونفي الملل عنه.

٧- اتسمت أخبار"اعتلال القلوب"بالواقعية مضمونا والتركيز والدقة اللغوية أسلوبا كما اتخذت من السند طريقة للرواية ومن التناص داخليا وخارجيا ظاهرة فنية.

والله من وراء القصد

فهرس المصادر والمراجع

- **أولا: القرآن الكريم**
- **ثانيا :الكتب العربية**
- الأدب وفنونه دراسة ونقد: د / عز الدين إسماعيل ، المتوفى ١٤٢٨ ه، دار الفكر العربي دون إشارة إلى تاريخ الطبع
- اعتلال القلوب :أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق/حمدي الدمرداش نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة–الرياض الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ: د/ بدري عثمان، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.
- البنية السردية في شعر الصعاليك : ضياء غني لفته ، عمان ، دار الحامد، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م
- بنية الشكل الروائي:حسن بحراوي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م .

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي ، المتوفى ٧٤٨ ه، تحقيق/ عمرو عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣ه -١٩٩٣م.

- تاريخ الخلفاء:عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ،المتوفى ٩١١ه، تحقيق: أحمدي الدمرداش ،مكتبة ندار مصطفى الباز ،الطبعة الأولى ١٤١٥ه-٢٠٠٤م.
- تاريخ بغداد وذيوله : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ
- تحليل الخطاب الروائي : سعيد يقطين المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ١٩٨٨م،.

- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ،،دار الفارابي ، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩.
- جماليات المكان في الرواية: شاكر النابلسي،المؤسسة العربية للدراسات للنشر- بيروت،١٩٩٤
- الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ), دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور:زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة الأولى، ١٣١٢ هـ
- الزمن في الرواية : مها حسن القصراوي ،،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس ، الاردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .
- السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات) : إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصردار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ
- الصوت الآخر (الجوهر الحواري للخطاب الأدبي) : فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ .:
- العبر في خبر من غبر : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ ه، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دون إشارة إلى تاريخ الطبع .تاريخ بغداد وذيوله برقم ٥٥١ ١٣٨/٢.
- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا:إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية- بغداد،٢٠٠١
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، المتوفى ٧١١ه، دار صادر ، بيروت ١٩٦٤م.

- المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) : عبد الله إبراهيم،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،١٩٩٠.
- مدخل إلى نظرية القصة (تحليلال وتطبيقا): سمير جميل،وشاكر المرزوقي، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية– بغداد،١٩٨٦
- المعجم الأدبي : د/ جبور عبد النور ، صـ ٦٩) .
- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : : سعيد علّوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٤٧م.
- المعجم المفصل في الأدب ، :د/ محمد التونجي ، ١/ ٢٧٣) دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .
- مملكة الباري (السرد في قصص الأنبياء) : محمد كريم الكواز ، الانتشار العربي ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .:
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر)دون إشارة إلى تاريخ الطبع.
- النقد الأدبي: احمد امين ، دار الكتاب العربي ، بيروت،الطبعة الرابعة ،١٩٦٧.
- النقد الأدبي الحديث : د / محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، الطبعة السادسة ، يونيو ٢٠٠٥ م .
- النقد التطبيقي التحليلي :د/ عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، الطبعة الأولى .
- **ثالثا:الكتب المترجمة**
- خطاب الحكاية ،بحث في المنهج :جيرار جينيت ،ترجمة : محمد معتصم وآخرون ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط ٢ ،القاهرة ، ١٩٩٧.

- عالم الرواية : رولان بورنوف وغيره ، ترجمة : نهاد التكرلي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٩١م.
- مفاهيم سردية : : تزفيطان تودورف ، ترجمة :عبد الرحمن مزبان ، منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م ، ١٣٠ .
- نظرية المنهج الشكلي : (نصوص الشكلانيين الروس) : ترجمة : إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م .:
- **رابعا:الرسائل العلمية**
- تحولات الشخصية في روايات عبد الرحمن منيف :محمد عبد الحسين هويدي الخزاعي ،رسالة ماجستير ،كلية التربية ابن رشد ،جامعة بغداد،١٩٩٨.
- المكان ودلالته في الرواية العراقية : رحيم علي جمعة العزاوي، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة بغداد ،٢٠٠٣ ، ص : ١٣٥
- **خامسا:المجلات**
- " استعمال الضمائر في الرواية " : ميشال بيتور ، مجلة الثقافة الأجنبية العدد ١ ، السنة التاسعة ، ١٩٨٩م.
- بناء الحدث في الفن القصصي – رواية تنظيرية – : د / صبري مسلم / مجلة اليرموك ، الاردن ، العدد ٦٠ ، ١٩٩٨
- تحولات القصّ في أدب الثمانينات : اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، العدد (٦)، ١٩٨٩م.
- "تداخل البنى السردية والتركيبية والرؤية للعالم في الغربة واليتيم لعبد الله العروي" : الطائع الحداوي ، مجلة الأقلام ، العدد (٦) ، ١٩٨٧م.
- مسألية القصة من خلال بعض النظريات الحديثة : الرشيد الغزي ،مجلة الحياة الثقافية ، تونس، الجزء الأول ، العدد (١) ، السنة ٢ ١٩٧٦ .
- مصطلحات تراثية للقصة العربية)) : عبد الله أبو هيف ، بحث نشرته مجلة التراث العربي، العدد ٤٨ ، ١٩٩٢ .
- "المنظور الروائي بين النظرية والتطبيق" : إبراهيم جنداري ، بحث نشرته مجلة الموقف الثقافي ، العدد ٤٤ ، السنة الثامنة ، ٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٢٣٥
٢-	Abstract	٤٢٣٦
٣-	المقدمة	٤٢٣٧
٤-	تمهيد	٤٢٣٨
٥-	المبحث الأول الخطاب السردي وصلاحية الأخبار للدرس السردي	٤٢٤٠
٦-	المبحث الثاني مكونات السرد	٤٢٤٦
٧-	المبحث الثالث الفضاء	٤٢٧٣
٨-	المبحث الرابع سمات السرد في أخبار"اعتلال القلوب"	٤٣٠٣
٩-	الخاتمة	٤٣٣١
١٠-	فهرس المصادر والمراجع	٤٣٣٢
١١-	فهرس الموضوعات	٤٣٣٦